

## **الحب والجمال عند العرب**

الكتاب : الحب والجمال عند العرب

الكاتب : أحمد تيمور باشا

الطبعة : ٢٠١٥

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مدكور - الهرم -  
الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ - ٣٥٨٦٧٥٧٦ - ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣



<http://www.apatop.com>

E-mail: [news@apatop.com](mailto:news@apatop.com)

**All rights reserved.** No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

**جميع الحقوق محفوظة :** لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية  
فهرسة إثناء النشر

باشا ، تيمور ، أحمد

الحب والجمال عند العرب - أحمد تيمور باشا - الجيزة - وكالة الصحافة العربية،  
٢٠١٥

ص ، ١٨ سم .

تدمك : ١ - ١٧٩ - ٤٤٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الإيداع / ٨٠٨٨ / ٢٠١٥

أ. العنوان

# الحب والجمال عند العرب

أحمد تيمور باشا

وكالة الصحافة العربية  
«ناشرون» 



## دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عز وجل - حبه، وحبّ من يحبه، وحبّ عمل يقرب إلى حبه. ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه:

اللهم إني أسألك حبّك، وحبّ من يحبّك، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك.  
اللهم ما رزقتني مما أحبّ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ، وما زويت عني مما أحبّ، فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ.

اللهم اجعل حبّك أحب إلي من أهلي ومالي، ومن الماء البارد على الظمّاء.  
اللهم حبّيني إليك، وإلى ملائكتك، وأنبيائك، ورسلك، وعبادك الصالحين.  
اللهم أحبي قلبي بحبّك، واجعلني لك كما تحب.  
اللهم اجعلني أحبّك بقلبي كله، وأرضيك بجهدني كله.  
اللهم اجعل حبّي كله لك، وسعيي كله في مرضاتك.



## صفات الحب وأغراضه



## الحب ما هو؟

قال أبو بكر الورّاق: سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو؟ فقال: "يا أمير المؤمنين، إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، انبعثت منهما لحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة؛ فيصوّر من ذلك خلقاً حاصراً للنفس، متصل بخواطرها يسمّى الحب".

وسئل حماد الراوية عن الحبّ ما هو؟ فقال: "الحبُّ شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذّكر، وأغصانها السّهْر، وأوراقها الأسقام، وثمرتها المنية". وقال معاذ بن سهل: "الحب أصعب ما رُكب، وأسكر ما شُرب، وأقطع ما لُقِيَ، وأحلى ما اشتُهي، وأوجع ما بطن، وأشهى ما علن. وهو كما قال الشاعر:

وللحب آفات إذا هي صرحت      تبدّت علامات غرر صفر  
فباطنه سقم وظاهره جوى      وأولاه ذكر وآخره فكر

وقال بشار العقيلي:

هل تعلمين وراء الحب منزلة      تدني إليك فإن الحب أقصاني

وقال غيره:

أحبك حبالو تحبين مثله      أصابك من وجد علي جنون  
لطيفا من الأحشاء، أما فهاره      فدمع، وأما ليله فأنين

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف": الحب أوله هزل، وآخره جد، دقت معانيه - لجلالته - عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة، ولا بمحذور في الشريعة؛ إذ القلوب بيد الله عز وجل.

وقد أحبّ من الخلفاء المهديين، والأئمة الراشدين كثير.

وأفتى ابن عباس بأن قتيل الحب لا دية له، والحب اتصال بين أجزاء النفوس. وقال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾.

وللحب علامات منها: إدمان النظر إلى المحبوب، والإقبال بالحديث إليه، والإنصات إلى حديثه، وتصديقه وإن كذب، وموافقته وإن ظلم، والشهادة له وإن جار. ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه: التعفف، وترك ركوب المعصية والفاحشة.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله - عز وجل -، ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه لا يلث حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك

وتفرقا، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجلٌ تصدق فأخفى؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

## الحب والمحجوب<sup>(1)</sup>

قولهم: أحبيت حباً: الحب ليس بمصدر لأحبيت، إنما هو عبارة عن الشغل بالحبوب، ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول، ومن ثم جمع كما يجمع الشغل، قال: ثلاثة أحباب: فحبُّ علاقة، وحبُّ خلان، وحبُّ هو القتل.

وكلما كان الفعل أعم وأشيع، لم يكن لذكر مصدره معنى، ولولا كشف الشاعر لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف ما فيه من المغموم، وأنه في معنى الشغل كما تقدم.

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما:

أحب أبا مروان من أجل تمره      وأعلم أن الحب بالمرء أرفق  
ووالله لولا تمره ما حبيته      وكان عياض منه أدنى ومشرق

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا: محبٌ، ولم يقولوا: حاب أصلاً. وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر - فقالوا: محبوب، ولم يقولوا: محب، إلا نادراً، كما قال:

ولقد نزلت فلا تظني غيره      مني بمثلة الخب المكرم

(1) بدائع الفوائد ص ٨٥

فهذا من: أحببت كما أن المحبوب من: حبيت، ثم استعملوا لفظ الحبيب في:  
المحوب، أكثر من استعمالهم إياه في الحب، مع أنه يطلق عليهما.  
فمن مجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدمينية:

وإن الكتيب الفرد من جانب الحمى إليّ وإن لم آتِه لحبيب

أي: محبوب. ومن مجيئه للفاعل، قول الجنون:

أهجر ليلى بالفراق حبيبها وما كل نفس بالفراق تطيب

فهذا بمعنى: محبوبها. وربما قالوا للحبيب: حب، مثل: خدن، فخدنٌ وخدينٌ  
مثل: حبٌ وحبيب. وإذا ثبت هذا فقوله: الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت، إنما  
هو عبارة عن الشغل بالمحوب، وأجروه على الفعل الرباعي استغناء عن  
مصدره، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم بالحب وألستهم به، فاستعملوا منه  
أحب المصدرين استغناء به عن أثقلهما. فلما كان الحبُّ ملازمًا لذكر  
محبوبه، ثابت القلب على حبه، مقيمًا عليه لا يروم عنه انتقالًا، ولا يبغى  
عنه زوالًا، اتخذ له في سويداء قلبه وطنًا، وجعله له سكنًا، حيث قال:

نزول الجبال الراسيات وقلبه على العهد لا يلوي ولا يتغير

وفي شرح لامية العجم للصفدي:

فالحب حيث العدا والأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل

الحُب بالضم: الحبة، وبالكسر: الحبيب نفسه، قال ابن الأنباري:  
"الحب هو الحبيب، ويحكى عن بعض العرب أنهم يقولون: فلانة  
حَبَّتِي،" يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد».

## عشق الشرف وعشق الجمال

قال عروة بن الزبير - رحمه الله -: "ما عشقت من امرأة قطّ إلا حسن شرفها؛ فإني لأعشق الشرفَ كما أعشق الجمال.  
وإنما أراد الحسب، وصراحة النسب، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: « ما عشقت من امرأة قطّ إلا حسبها».  
وقال كثيرُ الشاعر:

وأنت التي حبيت كل قصيرة إلي وماتدري بذاك القصائر

ولم يرد: القصيرة القدّ، وإنما أراد المقصورة في الجمال، من قولك: قصره، إذا حبسه. والمقصورة هي: المحبوبة. ومنه قول الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، أي: محبوسات. وقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾، أي: قصرن نظرهنّ على أزواجهنّ، فلا يبغين بهم بدلاً. ويدل على مراد كثير في بيته، قوله في البيت الذي بعده:

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطى، شر النساء البحاطر  
والبحاطر: القصار.

## أحلام المحبين

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، يهوى الحسن أينما وجدته، وينحو فيه منحى طاهراً بريئاً، واشتهر بحب الجمال

العذري، وقد عشق الأدب الرفيع، كما عُمر فوق الثمانين عامًا، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ ومن شعره:

ضن عني بالتر إذ أنا يقظا      ن وأعطي كثيره في المنام  
والتقينا كما اشتهينا ولا عي      ب سوى أن ذاك في الأحلام  
وإذا كانت الملاقاة ليلا      فالليالي خير من الأيام

وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعرًا مثله يتفق معه في هواه،  
وحبه، وعشقه للحسن والجمال:

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى      يلفنا الشوق من فرق إلى قدم  
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي      مواقع اللثم في داج من الظلم

## الحبيب الأول.. والحبيب الآخر

قال حبيب الطائي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى      ما الحب إلا للحبيب الأول  
كم منزل في الأرض يألفه الفتى      وحنينه أبدا لأول منزل

وقد ردّ عليه شعراء آخرون، فمن ذلك قول بعضهم:

افخر بآخر من كلفت بحبه      لا خير في حب الحبيب الأول  
أتشك في أن المنبي محمدا      ساد البرية وهو آخر مرسل؟

ومنه قول ديك الجن الحمصي:

كذب الذين تحدثوا أن الهوى      لا شك فيه للحبيب الأول  
ما لم أحسن إلى مقفر      درست معاملته كأن لم يؤهل

فقال حبيب: «حين بلغه قول ديك الجن»

كذب الذين تخرصوا في قوهم  
ما الحب إلا للحبيب الأول  
أو طيب في الطعم ما قد ذقته  
من مأكّل أو طعم ما لم يؤكل

قال العلويّ الأصبهاني<sup>(٢)</sup>:

دع الحب أول من كلفت بحبه  
ما قد تولى لا ارتجاع لطيبه  
إن المشيب وقد وفي بمقامه  
أوفى لدي من الشباب الغادر  
دنياك: يومك دون أمسك فاعتبر  
ما السالف المفقود مثل الغابر  
ما الحب إلا للحبيب الآخر  
هل غائب اللذات مثل الخاطر؟

## الحب مع اختلاف الدين

قال أبو الطحان الأسيديّ، وكان نديماً لناسٍ من النصارى:

كأن لم يكن في القصر مقاتل  
وزرورة ظل ناعم وصاديق  
معي كل فضفاض الثياب كأنه  
إذا ما جرى فيه المدام فتيق  
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم  
ويرتا قلبي نحوهم ويتوق

وللشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبّه لفتى نصراني يقول فيها:

أرق من روح الصبا وأطيب  
كالماء جسماً باللحاظ يشرب  
ولفظه السحر الحلال يطرب  
سكرت منه وهو شهد يعذب

فأعجب لشهد مسكر من سحر

قابلتَه بأحسن الكلام  
مرحباً معظماً مقامي

(2) في الصناعتين ص ٣٣٤

ووجهه الوضاح في ابتسام وخصني باللطف والإكرام  
ويالجميل والحيا والبشر

## الحب في كلِّ حال

قال عنترة العبيسيُّ به يصف حبه لعلَّة ابنة عمِّه، على ظلمها إياه:

أحبك يا ظلوم وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان  
ولو أُنِي أقول: مكان روحي خفت عليك باردة الطعان

وقال بعضهم في الوداع:

ودعتهم من حيث لم يعلموا ورحت والقلب بهم مغرم  
سألتهم تسليمة منهم عليّ إذ راحوا... فما سلموا  
واستحسنوا ظلمي فمن أجلهم أحب قلبي كل من يظلم

وقال دعبلُ الخزاعي:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم  
أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليمني اللوم  
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

## حبُّ النساءِ المال

قال الزبير بن بكار في أنساب قريش: كان «نُبَيْةٌ وأخوه منبه» من  
وجوه قريش، وذوي النباهة فيهم، ولكنهما قتلا «بدر» كافرَيْن، وكانا  
من المطعمين يوم بدر.

لقد كان «نُبيه» بضم النون وفتح الموحدة بعدها «ياء» ساكنة،  
«فهاء» وكنيته «أبو الزرام» بتشديد الزاي المعجمة، ابن الحجاج بن عامر  
بن حذيفة بن سعيد بن سهم بن عمر بن هُصيص «بالتصغير» بن كعب بن  
لؤي بن غالب، وكان نبيةً شاعراً مطبوعاً على الإجادة، وقد قيل: إن زيد  
بن عمرو بن نفيل كان يقول:

تلك عرساي تنطقان لهجر      وتقولان قول أثير وعثر

فقال نُبِيَّةٌ من القافية نفسها في زوجته، وقد سألتاه الطلاق:

تلك عرساي تنطقان على عمد      أن اليوم قول وزور وهثر  
سألتاني الطلاق أن رأتا ما      لي قليلا... قد جتتmani بنكر  
فلعلي أن يكثر المال عندي      ويعري من المغارم ظهري  
وترى أعبد لنا وأوراق      ومناصيف من خوادم عشر  
ونجر الأذيال في نعمة ثم      تقولان: ضع عصاك لدهر  
وي كأننا من يكون له نشب      يجب ومن يفتقر يعيش عيش ضر  
ويجنب سر النجي ويكن      أخا المال محضر كل سر

ومن شعره:

قصر الشيء بي ولو كنت ذا ما      لكثير لأجلب الناس حوي  
ولقالوا: أنت الكريم علينا      ولخطوا إلى هواي وميلي  
ولكلت المعروف كيلا هنيئا      ويعجز الناس أن يكيلوا ككيلي

وله أيضاً:

قالت سليمي يوم جئت أزورها      لا أبتغي إلا امرا ذا مال

لا أبتغي إلا أمرا ذا أنضر      كيما أسد مفارقي وخلالي  
فلأحرصن على اكتساب محبب      ولأكسبن في عفة وجهال

### في خلاصة الأثر ج<sup>(٣)</sup>

كان الأديب حسين بن أحمد بن حسين المعروف «بابن الجزري»  
الشاعر المشهور الحلبيّ أحد المجيدين، جمع شعره بين الصناعة والرقّة، كان  
إذا تكلم لا يظنّه الإنسان يعرف شيئا، وكان له خطٌّ نسخي غاية في الحسن  
إلا أنه كان شديد الأخلاق أحيانا، وكان مغرماً بشعر أبي العلاء المعري،  
كثير الأخذ منه، وأخيراً رآه في منامه، وقرأ عليه اللزوميات، وسمعه يقرر في  
تلك الرؤيا: "أنّ الخير كل الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعية عليه، والشر  
كل الشر فيما أكرهتك النفس عليه".

ومن شعر ابن الجزريّ:

وإن كنت متخذاً لجرحك مرهما      فكتاب رب العالمين المرهم  
أو كنت مصطحبا حبيبا سالكا      سبل الهوى فلزوم ما لا يلزم

ومن شعره في الغزل:

ما عشت من ألم الفراق      لو لم أطل أمل التلاقي  
فأظلم كالمسوع من      أفعى النوى ورجاي راقى  
وإذا بليت بجهن      في الكسوف وفي الخاق  
حتام دمعي فيك لا      يرقا وروحي في التراقي

---

(3) في خزانة الأدب ج ٣

وإلام يستسقى الفؤا  
 وغريق دمع العين لا  
 والحب ما أورى الضلو  
 فمساك أن تجزى مجيب  
 ولقد لقيت هواك أع  
 وصبرت فيك على العدا  
 وعلمت أن الصبر يا  
 اعرض عن الأعراض إع  
 وارفق ولو بالالتفات  
 فلقد يكون تلفت الأ  
 واستيق مني باللقا  
 أعضاء صب مآله  
 فالبيض سود عيونها  
 وقد ودهن رواشق  
 يا ثالث القمرين إلا  
 دظما وأجفاني سواقى  
 تلقاه إلا في احتراق  
 ع جوى وما أرى المآقى  
 ك الخبنة بالوفراق  
 ظم ما لقيت وما ألقى  
 صبر الأسير على الوثاق  
 عذب اللمى مر المذاق  
 فراضى لديك عن النفاق  
 على ما بين الرفاق  
 أعناق داع للعنناق  
 ء بواقيا ليست بسواقى  
 إلاك من عينيك زاقى  
 أمضى من البيض الرقاق  
 في الطعن كالسمر الرشاق  
 بليت بالدمع المراق

ومن جيد شعره قوله:

نتفداك ساقيا قد كسك الـ  
 تشرق الشمس من يديك، ومن فيـ  
 أو ليس العجيب كونك بدرا  
 فنتتة أنت إذ تميت وتحيي  
 لست من هذه الخليقة بل أنـ  
 حسن من فرقك المضيء لساقك  
 ك الثريا والبدر من أطواقك  
 كاملا والحق من عشاقك  
 بتلاقيك من تساء، وفراقك  
 ت مليك أرسلت من خلاقك

## الحب خضوع النفس

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل اليميني الحسيني مشهوداً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف، والنظم والنثر، وقد رحل إلى كثير من البلدان، وأقام بالحرمين، ثم توطن المخا، وحصل له بها شأن عظيم يغبطه عليه صفوة أصحابه وأترابه، إذ كان له يد طولى في العلوم الشرعية، والفنون العربية، إلا أنه غلب عليه التصوف، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف، ودوائر الأولياء، حتى إنه كان زاهداً في الدنيا، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض:

قلبي يحدثني بأنك متلفي      عجل به ولك البقاء، وتصرف  
قد قلت حين جهلتي وعرفتني      روحي فذاك عرفت أم لم تعرف  
أنت القليل بأي من أحببته      فلك السعادة في الشهادة يا وفي  
ولقد وصفت لك الغرام وأهله      فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

وقال مخمّساً قصيدة ابن النبيه:

رقم العذول زخرفاً وتصنعا      وأشاع نقض العهد عنك وشفعا  
فأجبتيه والنفس تقطر أدمعا      أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا

ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا

حكم الغرام فلذبه وبحكمه      واثبت على مفروض واجب رسمه  
واخضع لعدل الحب فيه وظلمه      من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه

حلوا فقد جهل الحبة واذعى

يا من بلطف جماله قلبي اقتنص صبري على الأعتاب من جلدي نكص

وثبات حجلي حين زمزمتهم رقص

يا صاحب الوجه الجميل تدارك الصبر الجميل فقد عفا وتضعضعا  
وفرت من نبل اللواحق أسهمي وكلمت أحشائي ولم أتكلم  
وهجرتني ظلما ولم أتظلم هل في فؤادك رحمة لمتيم

ضمت جوانحه فؤادا موجعا

إني اعترفت بزلتي وجنايتي ورضاك مقصودي وغاية غاييتي  
يا من ضلالي فيه عين هدايتي هل من سبيل أن أبث صبابتي  
أو أشتكى بلوأي أو أتضرعا؟

لي في حماك مسارح ومطامح كم بت للغزلان فيه أطارح  
يا قلب إن اليوم طيبك نازح يا عين عذرك أن حي واضح  
كلي لفرقتة أراد وأزما

## أشقى الناس أهواها

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي، ولد  
بجلب، ونشأ بها، وكان له مذاكرة تأخذ بلبب الصحاب ومحاضرات،  
وترغب من محاضرات الراغب، وله شعر قصير منه قوله:

كبت وأفكاري بجمك مزقت      كما قد بدت في الحب كل ممزق  
ولو حم لي التوفيق كنت تركته      ولكنني وأصبحت غير موفق  
وإذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى      فلا تنكرون هذا المقالل وصدق

وقال متغزلا:

سألتها عن فؤادي أين مسكنه      فإنه ضل عني عند مسراها  
قالت: لدي قلوب جمعة جمعت      فأيتها أنت تبغي؟ قلت: أشقاها

## رابعة العدوية

روى ابن خلكان قصة «رابعة العدوية» شهيدة الحب الإلهي، قال:  
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، مولاة آل عتيك، من  
أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة.  
وذكر أبو القاسم القشيري في «الرسالة» أنها كانت تقول في  
مناجاتها: إلهي .. أتحرق بالنار قلباً يحبك؟ فهتف بها مرة هاتفاً: ما كنا نفعل  
هذا، فلا تظني بنا ظنّ السوء!

وكان سفيان الثوري عندها يوماً، فقال: واحزنناه! فقالت له: «لا  
تكذب، بل قل: وا قلة حزنناه؛ لو كنت محزوناً لم يتهياً لك أن تنفّس».  
وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العدوية، فرأيتها في المنام تقول:  
هداياك تأتينا على أطباق من نور، مخمّرة بمناديل من نور.  
وكانت تقول: ما ظهر من أعمالي فلا أعدّه شيئاً.  
ومن وصاياها: اکتّموا حسناتكم كما تکتّمون سيئاتكم.  
وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب «عوارف  
المعارف» قولها:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي      وأبحت جسمي من أراد جلوسي  
فالجسم مني للجليس مؤانس      وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

## الحب أحسن المعاصي

في «لوعة الشاكي، ودمعة الباكي» لابن الصفدي:

انتصف الليل، وأقبلت عساكر السعد بالرجل والخيال، فأمرت صاحبي برفع المدام، وتجهيز المرقد للمنام، فرفع الأواني في الحال، وأقبل على ذلك الشأن وطال، وعلق في المرقد نفحات المسك الأذفر، وأطلق فيه مباخر الند والعنبر. ثم قال: أين ترسم لي أن أبيت؟ فقلت: نم عندنا لكن خارج البيت، فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة، فأخرج عنّا، ورد الباب بالحلقة. ففعل ما أمرناه وخرج، ولم يبق في الصدر همٌّ ولا حرج، فقلت لحبوبي: أما تقوم بنا لننام، وأتعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام؟ فقال لي: أقوم ولكن العناق حرام، فقلت: في عنقي تكون الأوزار والآثام:

فقام ينهض والصهباء تقعده وقال      سكرا وحاول أن يسعى فلم يطق  
لي بفتور من لواظته      إن العناق حرام قلت: في عنقي

فقال: أستغفر الله من الفجور واللغط، ومن وقوعك أيها الإنسان في الغلط. فقلت: لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل، وأحسن القربات.

أستغفر الله إلا من محبتكم      فإنها حسناتي يوم ألقاه  
فإن زعمتم بأن الحب معصية      فالحب أحسن ما يعصى به

## الهوى قدر

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش. قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد قال: سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر:

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة

فقال: هو عندي كقولهم: ويل للشجي من الخلي. ومعناه: أن البرق  
يضحك والريح تبكي.

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها، والبرق يبكي  
أيضاً وهو يلمع في الغمامة.

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه:

إلا تكن في الهوى أرويت من ظمأ  
لقد دلت على أن الهوى بدل  
فحسب نفسي عن علمي بموضعها  
وأنت خال وقلبي ذا الذي ملكت  
إني وغلة نفسي فيك قائمة  
ولم يكن باختيار لي فأتركه  
لكنه من أمور الله ممتنع  
لن يضبط العقل إلا من يدبره  
كن محسناً أو مسيئاً وابق لي أبداً

ولا فككت من الأغللال مأسورا  
من أجل ما كان مرجوا ومخدورا  
من الهوى وبأي كنت معذورا  
هواه نفسك إكراها وتخيرا  
لم تلق مذ ألفتك النفس تغييرا  
ولا اضطرار أتاه القلب مقهورا  
في الوصف قدره الرحمن تقديرا  
ولن ترى للهوى في العقل تدبيرا  
تكن لدي على الحالين مشكورا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا:

فإن تكن القلوب إذا تجازى  
فمالي أهون الثقلين جمعا  
عمدت سنين أستخفي التصابي  
فلم تقلع صروف الدهر حتى  
تبغض ما استطعت وعش سليما

وتسلك في الهوى سننا سويا  
عليك وأنت أكرمهم عليا؟  
ولا أرضى من الوصل الرضيا  
خسست عن أن أحيي أو أحيأ  
فأنت أحب مخلوق إلينا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد:

يا أيها الراكب الغادي لطيته      عرج أنبتك عن بعض الذي أجد  
ما عالج الناس من وجد ألم بهم      إلا وجدت به فوق الذي وجدوا  
حسي رضاه وأني في محبته      ووده آخر الأيام أجهده

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه:

ألا إنما الإنسان غمد لقلبه      ولا خير في غمد إذا لم يكن نصل  
فإن كان للإنسان قلب فقلبه      هو النصل، والإنسان من بعده فضل



## أنواع الحب



## ضروب المحبة<sup>(١)</sup>

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحابين في الله، ثم محبة القرابة، ومحبة الألفة والاشترار في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة البرّ يصنعه المرء عند أخيه، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسرّ يجتمعان عليه، ويلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس.

## حب الولد<sup>(٢)</sup>

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرضٌ ذليلةٌ، وسماءٌ ظليلةٌ، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويجسوك جهدهم، ولا تسكن عليهم ثقيلًا؛ فيملوا حياتك، ويجبوا وفاتك. فقال معاوية: الله أنت يا أحنف، لقد دخلت عليّ وإني لملوء غضبًا على يزيد، فسللته من قلبي.

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم.

(٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب. فبعث يزيد إلى الأحنف بمئة ألف درهم ومئة ثوب. وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب، حتى لامه الناس فيه فقال:

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وقال: إن ابني سالماً، ليعبُّ الله حباً لو لم يخفهُ ما عصاه.

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داود كل مذهب حتى قال يوماً: أئمة الحديث أربعة: كان عبد الله، ثم كان علقمة، ثم كان إبراهيم، ثم أنت يا داود.

وقال: تزوجت أم داود، فما كان عندنا شيء ألقفه فيه حتى اشتريت له شِكْوَةً بدائق. وقال زيد بن علي لابنه: يا بني، إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذرنيك، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعُهُ التذليل إلى التفريط، وخير الأبناء للآباء من لم يدعُهُ التقصير إلى العقوق.

وفي الحديث المرفوع: «ريحُ الولد من ريح الجنة» وفيه أيضاً: «الأولاد من ریحان الله» وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لما بشر بفاطمة: «ريحانةُ أشمها، ورزقها على الله» ودخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة، فقال: من هذه؟ قال: هذه تفاحة القلب. فقال له: انبذها عنك، فوالله إنهم ليلدن الأعداء، ويقربن البُعداء، ويورثن الضعائن".

فقال له معاوية: "لا تقل ذلك يا عمرو؛ فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلهنّ، وربّ ابن أخت قد نفع خالهُ".

وقال المعلّى الطائي:

لولا بنات كزغب القطا      يرددن من بعض إلى بعض  
لكان لي مضطرب واسع      في الأرض ذات الطول والعرض  
وإنما أولادنا بيننا      أكبادنا تمشي على الأرض

وكانت فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تُرقص  
الحسين بن علي - رضي الله عنهما - وتقول:

إن بني شـبـه النـبي      ليس شـبـيها بعـليّ

وكان الزبير بن العوام يرقص عروة ابنه ويقول:

أبيض من آل أبي عتيق      مبارك من ولد الصديق  
ألته كما ألد ريقِي

وقال أعرابي يرقص ولده:

أعرف منه قلة النعاس      وخفة من رأسه في راسي

وقال عبد الملك: أضربنا في الولد حيناً له، فلم نؤدبه، وكان الوليد أدبنا<sup>(4)</sup>.

### حبّ الأيامي واليتامي<sup>(5)</sup>

من بديع أخبار الحكم: أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر، فلما نزل  
بوادي الحجارّة، سمع امرأة تقول: وا غوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى  
كلّب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا.

(4) يريد الوليد ابنه «الوليد بن عبد الملك».

(5) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

فسألها عن شأنها، فقالت: كنت مقبلَةً من البادية في رفقة، فخرجت علينا خَيْلٌ عدوٍ فقتلت وأسرت، فصنع قصيدته التي أولها:

تلمت في وادي الحجارة مسندا      أراعي نجوم ما يرين تغيرا  
إليك أبا العاصي نصيت مطيقي      نسير بهم ساريا ومهجرا  
تدارك نساء العالمين بنضرة      فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة، ووصف له خوف الثغر، واستصرخ المرأة باسمه، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة، ومعه الشاعر، وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت؟ فأعلم بذلك، فغزا تلك الناحية، وأثخن فيها، وفتح الحصون والديار، وقتل من العدو عدداً كثيراً، وجاء إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة، وجميع من أسر له أحدٌ في تلك البلاد ثم أمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتهم، وقال للعباس: سلها هل أغاثها الحكم؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة: والله لقد شفى الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهور، فأغاثه الله، وأعز نصره.

فارتاح لقولها، وبدا السرور في وجهه وقال:

ألم ترياً عباس أني أجبتهَا      على البعد أقتاد الخميس المظفرا  
فأدرك أوطارا وأبردت غلة      ونقسست مكروبا وأغنييت معسرا

فقبل عباس يده وقال: نعم، جزاك الله خيراً عن المسلمين.

## أمثال في الحب<sup>(6)</sup>

قول لسان الدين الخطيب:

<sup>(6)</sup> في نفع الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب.

أصناف المحبين والعشاق كثير، بحيث يشق إحصاؤهم، ولا يتأتى استقصاؤهم، كما أورد أبياتاً من قصيدة أبي فراس الحمداني، التي يقول فيها:

تسألني : من أنت؟ وهي عليمه      وهل بفتى مثلي على حاله نكر  
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى      قتيلك، قالت أيهم فهم أكثر؟

وفي هذا تنبه النفوس الصعبة، على حكم الحبة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ  
عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ﴾.

ثم قال المؤلف: "وهذه حكمٌ تجري مجرى الأمثال: الحبة بحرٌ بعيد الشط،  
والفناء منتهى الخط، الحبة مهوى من بعيد، ومجالٌ وعدٌ ووعد".

الحبة ظهرٌ لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه، كم قصمت الحبة من  
ظهر، وكم سير صوتٌ إلى قهر.

## حجة بالغة

قال ابن السبكي - رحمه الله تعالى -:

قالت: ألا لا تلجن دارنا      إن أبانا رجل غاير  
قلت: فإني حاضر.. زائرا      ولا يلام الزائر الحاضر  
قالت: فإن الليث عاد بنا      قلت: فسيفي مرهف بائر  
قالت: فإن القصر من دوننا      قلت: فإني فوقه طائر  
قالت: فإن البحر من بيننا      قلت: فإني سابع ماهر  
قالت: فإن الله من فوقنا      قلت: نعم وهو لنا غافر  
قلت: فحولي إخوة سبعة      قلت: فإني لهم حاذر  
قالت: لقد أعيينا حجة      فأت إذا ما هجع السامر  
واسقط علينا كسقوط الندى      ليلة لا ناه ولا آمر



## حب الأزواج



## زواج النبي من خديجة

قال صاحب كتاب: «سنا المهدي» أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة - رضي الله عنها - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكر ابن إسحاق أنه - صلى الله عليه وسلم - مشى هو وعمه حمزة بن عبد المطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك. وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك، وأن الذي أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد. قال المبرد: وهو الذي خطب خطبة النكاح، وكان مما قال في تلك الخطبة:

"أما بعد، فإن محمدًا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفًا ونبلًا وفضلًا وعقلًا، وإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك" فقال عمرو: "هو الفحل لا يقرع أنفه، فأنكحها منه"، ويقال: "قاله ورقة بن نوفل. والذي قاله المبرد هو الصحيح"؛ لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم، عن ابن عباس، وعن عائشة. قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح ابنة

أخيه خديجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلدًا هلك قبل ذلك.

وذكر الزهري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة: هلمّ فلنتحدث عند خديجة، وكانت تكرمهما، فلما قاما من عندها، جاءته جويرية لها وقالت له: جئت خاطبًا يا محمد؟ قال: كلا. فقالت: ولم؟ فوالله ما في قريش امرأة - وإن كانت خديجة - إلا تراك كفوًا لها. فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطبًا لخديجة مستحيًا منها.

### حب خديجة للنبي، وتقديره لها

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

وقد شاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - نشأة كريمة طاهرة، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة، والبعد عن صغائر الأمور، فاشتهر بالصادق الأمين.

وقد سمعت خديجة وهي سيدة نساء العرب به، ورغبت في أن يتجر بماها، فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن، وربحت التجارة كثيرًا؛ لما اتصف به - عليه الصلاة والسلام - من خلق عظيم، وقلب رؤوف رحيم.

وكان يصحبه خادمها «ميسرة» الذي شاهد ما شاهد من طيب الخلال، والصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، وقص الخادم على

سيدته ذلك، ومن ثم آنتست في سيدنا محمد صفات كمال الرجال،  
فعرضت عليه أن يتزوج بها، فوافق شاكراً راضياً، ولقد كان يخطبها أكبر  
سادة العرب وجملة ساستهم فلم ترضوا احد منهم.

وكانت على جانب عالٍ من السماحة وجمال الخلق والخلق معاً،  
وكان هو - صلوات الله عليه وسلامه - يبلغ الخامسة والعشرين، وتكبره  
بخمسة عشر ربيعاً. وصادف هذا الزواج المبارك، بل حالفه التوفيق واليمن،  
فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة.

وبينما كان يتحدث في غار ثور، نأياً عما كان عليه شباب العرب،  
حان ظهور جبريل - عليه السلام - لأول مرة، وقال له: اقرأ. فأجابته  
النبي: ما أنا بقارئ. فضمه إليه ثم أرسله، وأعاد عليه أخرى. وفي الثالثة:  
نزلت السورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ  
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول: «زملوني»، وسرد عليها  
روايته، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حالته، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت:  
"والله لن يخزيك الله أبداً؛ إنك تصل الرحم، وترحم الأرامل والأيتام،  
وتؤوي الضعفاء والمساكين. ثم رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها  
ورقة بن نوفل، الكاهن، فبشره بأن هذا هو الناموس الذي يتزل على أنبياء  
الله ورسله، وسيكون له شأن عظيم!

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً،  
حتى بلغ الأربعين، معاشرة كلها الحب والوفاء، وعاش معها حياة العزة  
والكرامة والاطمئنان. وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرفيع المكانة،

فتقول: "كل شيء ملك محمد، ليس لي فيه شيء، فهو صاحب الأمر والنهي". ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً في أتم وأكمل ما يتصوره العقل الذكي، واللبّ الحكيم، إلى أن اختارها الله لجواره، ولحقت بالرفيق الأعلى. ولقد كانت أول من آمن به من النساء، وكم حزن عليها سيدنا محمد - صلوات الله عليه - حزناً شديداً، حتى ذكر عام وفاتها بعام الأحران، وما زال - عليه الصلاة والسلام - يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها، ولم يتزوج عليها قط. فما إن كان بمجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة، حتى قال: "أعطوها وأكرموها"؛ فغارت عائشة قائلة: "أولم أكن يا رسول الله - أنا البكر - خيراً منها"؛ فغضب وتغير وقال: "والله يا عائشة، ما عادها من النساء أحدٌ، لقد أمدتني فقيراً، وأكرمتني معاشراً، وملأت عليّ أركان حياتي أنساً وسؤدداً". قالت عائشة: "وقد أقسمت بحقه وحبه ألا تذكرها إلا بخير".

## خير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال صلى الله عليه وسلم: «تزوجوا الولود الودود من النساء؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

وقال أيضاً: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال: "أبغي امرأة. فقيل له: ما صفتها؟ قال: أريدها بكراً كثيب، أو ثيباً كبكر، حلوة من قريب، فحمة من بعيد، كانت في نعمة وأصابتها حاجة، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة".

## السيدة سكينته بنت الحسين

كانت سكينته بنت الحسين<sup>(١)</sup> سيدة نساء عصرها، ومن أجمل النساء وأظرفهن أحسنهن أخلاقاً، وتزوجها مصعب بن الزبير فمات عنها، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فولدت له قريناً، ثم تزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها؛ لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء، فلم يسعه إلا الإذعان لأمر سليمان، ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بغيرها من الجواري صارت طالقةً، فطلقها. وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا، وقيل أيضاً إن الطرة السكينية منسوبة إليها.

ولها نوادر وحكاياتٌ ظريفةٌ مع الشعراء وغيرهم، من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين، وله أشعار رائقة - فقالت له: أنت القائل:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي      ذهبت نحو سقاء الماء أبرد  
هيني بردت ببرد الماء ظاهره      فمن ل نار على الأحشاء تنقد؟

فقال لها: نعم. فقالت: وأنت القائل:

قلت وأبششها سري وبحت به      قد كنت عندي تحب الستر فاستتر  
ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها:      غطي هواك وما ألقى على بصري

(١) ابن خلكان ج ١

والسيدة سكينه ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة. وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فمات - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها: سميتها زبراء، قالت: أسميتها باسم إحدى أمهاتي، فسمتها خديجة أو فاطمة، فماتت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها.

وخطب سكينه عبد الله بن مروان، فقالت أمها: والله لا أزوجهما منه أبداً وقد قتل ابن أخي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين، وحكيماً، وابنة، ويقال ابنتين، فمات عنها، فتزوجها الأصغر بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً، فقال عبد الملك: إنا تزوجنا أحسابنا فلم نغرق في الصداق، طلقها، فطلقها، فقال أيمن بن حريم:

نكحت كينة في الحساب ثلاثة      فإذا دخلت بها فأنت الرابع  
إن البقيع إذا تتابع زرعه      خاب البقيع وخاب فيه الزراع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان؛ فأصدقها صداقاً كثيراً، واشترطت عليه ألا يعصي لها أمراً ولا يغيرها، ولا يمنعها شيئاً تريده، ولا يمنع أحداً يدخل إليها، وأن يقيمها حيث رغبتها، فتزوجها على هذه الشروط، فقال له سليمان بن عبد الملك: يا زيد بن عمرو، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية، وعندك أمثال المها، وأنا أعلم أنك لا تصبر، وأنك قد وطئت بعضهن، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها، وقد حرمت

عليك سكينه؛ فطلقها زيد، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فأبى أهلها أن يرضوا، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم بن هشام، فقال له: انطلق فادخل على أهلك، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه، وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها: جعلت فداك، لا أرى أهل المدينة يذكروننا. فأجابتها: "أما والله لأجعلن لهم حديثاً"، وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له: "كيف أنت إن تزوجتك"؟ قال: "تجديني خير الناس".

وكانت ظريفة عفيفة، وأديبة فصيحة، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء، وسماحة الخلق، وملاحة الخلق، فقيل لها: "يا سكينه، أختك ناسكة وأنت مزاحمة"؟ قالت: "إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

ولقد شبب الفرزدق بها، وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه، فقال جرير في ذلك:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز      بحقك تنفي من المسجد

وطافت سكينه بنت الحسين - رضي الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعيت في أول طواف، ونظر إليها العرجي، فقال:

يقعدن في الطواف آونة      ويطفن أحياناً على فتر  
حتى استلمن الركن في أنف      من ليلهن يطأن في الأزر  
ففرغن في سبعة وقد جهدت      أحشاؤهن موائل الخمر

(٢) أختها فاطمة بنت الحسين، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء، وسميت سكينه بنت الحسين باسم آمنة جدتها أم الرسول - صلوات الله وأزكى سلامه عليه.

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها، فحفظت الشعر، وقالت: "لو أن الجمال طفن سبعاً لجهدت أحشاؤهن" وكانت سكيئة -رضي الله عنها - على جانب وافر من الخلال الطيبة فوق ما امتازت به من كريم المختد، ودمائة الطبع والجمال.

## عاتكة بنت زيد

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة فأحبها، فكان ربما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها؛ لما اتصفت به من حسن الصورة، وسماحة الخلق، وكانت عبلة الجسم، مكتترة اللحم، على قسط وفير من العلم والأدب، والمعرفة بالشعر؛ مما دعا عبد الله إلى الانشغال بها، فأمره أبو بكر - رضي الله عنه - بطلاقها قائلاً له: "قد فتنك عن دينك، وشغلتك عن معيشتك، فطلقها"، وقال:

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| لوم أر مثلي طلق اليوم مثلها | ولا مثلها في غير جرم تطلق  |
| لها خلق سمح ورأي ومنصب      | وخلق سوي في الحياء ومصدق   |
| أعاتك لا أنساك ما هبت الصبا | وما ناح قمري الحمام المطوق |
| أعاتك لا أنساك ما أحج راكب  | وما لاح نجم في السما مخلق  |
| أعاتك قلبي كل يوم وليلة     | إليك بما تحفي النفوس معلق  |
| ولولا اتقاء الله في حق والد | وطاعته ما كان منا التفرق   |

فبلغ أبا بكر شعره فأمره فراجعها، وكانت عنده حتى مات شهيداً، أصابه سهم في حصار الطائف فانتقض به جرحه فمات، فقال لعاتكة حين

احْتَضِرَ: لك حديقةٌ من مالي ولا تتزوّجني؛ فقبلت ذلك، وقال حين راجعها:

أعاتك قد طلقت عني بغصة      وراجعت للأمر الذي هو كائن  
كذلك أمر الله غاد ورائح      على الناس فيه ألفة وتباين  
وقد كان قلبي للتفرق طائرا      وقلبي لما قد قرب الله ساكن  
أعاتك إني لا أرى فيك سقطة      وإنك قد حلت عليك المحاسن  
وإنك مما زين الله أمره      وليس لما قد زين الله شائن

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير، فقال أبو بكر: إنا لله، كيف يصبر ابني على سبع كيات<sup>(٣)</sup>، فلما مات عبد الله قالت عاتكة ترثيه:

فجعت بخير الناس بعد نبهم      وبعد أبي بكر، وما كان قصرا  
فآليت لا تنفك عيني سخينة      عليك ولا ينفك جلدي أغبرا  
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكاة      وما طرد الليل الصباح المنورا  
فلله عينا من رأى مثله فتى      أكر وأحمى في الجهاد وأصبرا  
إذا شرعت فيه الألسنة خاضها      إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم ما لبثت أن خطبها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقالت:  
إني قد جعلت على نفسي ما لا أقدر معه على التزويج. فقال: استفتي ابن  
أبي طالب - رضي الله عنه - فاستفتته، فقال: ردي عليهم ما أخذته منهم  
وتزويجي، فردت الحديقة، فتزوجها عمر - رضي الله عنه - فلما دخل بها  
أولم، فدنا علي - رضي الله عنه - من خدرها وقال:

(٣) يعني بذلك جزاءه على ما اكتسب من الدنانير ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ  
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ...﴾.

فأليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت، فقال عمر: ما أردت إلا أن تفسد علينا أهلنا.

ويقال: قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما قتل عمر قالت:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للقران منيب  
رؤوف على الأذن غليظ العدا أحي ثقة في النائبات نجيب  
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت:

عين جودي بعبرة ونجيب لا تملي على الإمام النجيب  
فجمعني بالفارس المقدم — يد يوم الهياج والتذيب<sup>(٤)</sup>  
عصمة الناس والمعين على الدهر — ر وغيث المنتهاب واخروب  
قل لأهل والبأس: موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

فخطبها طلحة بن عبيد الله، فمشى في أمرها هبار بن الأسود، فأفسد عليه، فتزوجها الزبير بن العوام، فنهاها عن الخروج إلى المسجد، فقالت: أتهاني عن الخروج إلى الصلاة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله»؛ فأعرض عن ذلك أيامًا، ثم قعد لها في طريقها ليلاً، فلما مرت به ضرب عجزها بيده - وكانت عظيمة العجيزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت، وقالت: "سوءة إنا الله، وتركت الخروج، فقال لها الزبير: مالك تركت الصلاة في المسجد؟ فقالت: قد فسد الناس أبا عبد الله. فقتل عنها، فقالت:

(٤) إكثار الذب والدفع، وفي الأغاني التليب.

غدر ابن جرّمور بّممة      يوم اللقاء وكان غير معرد  
يا عمرو لو نهته لوجدته      ولا طائشا رعى الجنان ولا اليد  
شلت يمينك إن قتلت لمسلما      حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقالت: إني أشفق عليك من القتل، لم أتزوج رجلاً إلا قتل، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر، فقتل ومثّل به، فقالت:

لئن تقتلوا أو تمثّلوا بمحمد      فما كان من شأن النساء ولا الخمر<sup>(٥)</sup>

## فتزوجها عمرو بن العاص

وروي أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد» فقال ابن له: لا تدعهن يخرجن، فيتخذنه دغلاً، فزجره وقال له: أقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تقول: لا تدعهن؟! وذكر أبو بكر الخرائطي - رحمه الله - في كتاب «اعتلال القلوب» قال: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام - رضي الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى المسجد، فشق عليه ذلك وكره أن يمنعه، فأذن لها، ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق، فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسدها، فكرت راجعة، وسبقها الزبير إلى الدار، فلما دخلت عليه تسبح، قال لها: ما ردك عن وجهك؟ قالت: كنا نخرج والناس ناساً، وأما اليوم فلا، وتركت طلب المسجد.

(٥) يقال: مثل به بمثل مثلاً، مثل: قتل يقتل قتلًا، ومثل به تمثيلاً: إذا نكل به.

## زواج امرئ القيس

نقل الجرجاني في كتاب «الكنيات» عن كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، أن عبد الملك بن عمير قال: آل امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسأها عن "ثمانية وأربعة واثنين" فجعل يخطب النساء، فإذا سأهن عن هذا قلن: أربعة عشر، فبينما هو، في جوف الليل إذا هو برجل معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه، فأعجبه فقال لها: يا جارية، ما ثمانية وأربعة واثنان؟ قالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنان فتديا المرأة؛ فخطبها من أبيها، فزوجه إياها، وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فأجابها موافقاً، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نحيًا من سمن، ونحيًا من عسل، وحلة من قصب، فتزل العبد في بعض المياه فنشر الحلة فلبسها، ثم أتاها - وهي خلوف - فسأها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها، فقالت له: أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي يراعي الشمس، وأن سماءكم انشقت، وأن وعاءكم نصب؛ فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال: أما قولها: ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً، فإن أباهما ذهب يخالف على قومه، وأما قولها: ذهبت تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقابل نفسها، وأما قولها: أخي يراعي الشمس، فإن أخاها في صرح له يرعاه، وأما قولها: إن سماءكم

انشقت، فإن البُرد الذي بعثت به انشق، وقولها: إن وعاءكم نصب، فإن  
النَّحيين اللذين بعثت بهما نقصا، فاصدقني، فقص عليه الغلام القصة.

ثم إن امرأ القيس ساق مئة من الإبل، وخرج نحوها ومعه الغلام،  
فقام الغلام يسقي الإبل، فعجز عنها، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به الغلام  
في البئر، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها: قد  
جاءك زوجك. فقالت: والله لا أدري أزوجي أم لا؟ ولكن انحروا له جزورا  
وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا وأكل، ثم قالت: اسقوه لبنًا خائراً أي  
حامضاً؛ فشرب، فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، فنام.

فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سليمان عما  
سئت. فقالت: مم تختلج شفتاك؟ فقال: لتقبيلي إياك. قالت: فمم يختلج  
فخذاك؟ فقال: لتوركي إياك. قالت: عليكم فشدوه وثاقاً، ففعلوا.

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر، فرجع إلى حيه وساق  
مئة من الإبل، وأقبل إلى امرأته فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله لا  
أدري أزوجي أم لا؟ ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها  
ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: فأين الكبد والسنام واللحم؟! وأبي أن يأكل.  
فقالت: اسقوه لبنًا خائراً، فأتى به، فأبى أن يشربه، وقال: أين الضريب  
والريبة؟! فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، فأبى أن ينام. وقال: افرشوا  
لي على القلعة الحمراء، واضربوا عليها خباء، ثم أرسلت إليه: هلم شرطي  
عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها: أن سلي عما سئت، فأرسلت إليه:  
مم تختلج شفتاك؟ قال: لشرب الشعشعات. قالت: فمم يختلج كرشحاك؟  
قال: للبسي الخبرات. قالت: فمم يختلج فخذاك؟ قال: لركوبي المظلمات.  
قالت: هذا زوجي لعمرى فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ

القيس بالجارية التي أحبها حين رآها، فأعجب بجمالها، وسألها، فكان جوابها شافياً. وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له.

## ولاء أم عقبة لابن عمها غسان

كانت أم عقبة، وهي امرأة من بني يشكر عند ابن عم لها يقال له: غسان، ولما شعر بدنو أجله، أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً:

أخبري بالذي تريدين بعدي      والذي تضمرين يا أم عقبه  
تحفظين من بعد موتي لما قد      كان مني من حسن خلق وصحبه  
أم تريدين ذا جمال ومال؟      وأنا في الترتب في سجن غربه

فقالت: والله لا أجيبك بكذب، ولأجعلنه آخر حظي منك، وأنشدته:

قد سمعت الذي تقول وما قد      يا ابن عمي تخاف من أم عقبه  
أنا من أحفظ الوداع وأرعا      ه لما قد أوليت من حسن صحبه  
سوف أبكيك ما حييت بنوح      ومراث أقولها أو بندبه  
فلما سمعها أنشأ يقول:

أنا والله واثق بك لكن      احتياطياً أخاف غدر النساء  
بعد موت الأزواج يا خير من عو      شر، فارعي لي حق حسن الوفاء  
إنني قد رجوت أن تحفظي العهـ      د فكوني إذا متُّ عند الرجاء

## زواج حاتم الطائي<sup>(٦)</sup>

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، وأبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كانت امرأة من العرب،

(٦) في أمالي الزجاجي.

ذات جمال وكمال، وحسب ومال، قد آلت ألا تزوج نفسها إلا كريماً،  
ولئن خطبها لئيم لتجدعنّ أنفه، فتحامها الرجال، حتى انتدب لها زيد  
الخيّل، وحاتم بن عبد الله، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون، فارتحلوا إليها،  
فلما دخلوا عليها قالت: مرحباً بكم، ما كنتم زواراً، فما الذي جاء بكم؟  
فقالوا: جننا زواراً وخطاباً.

قالت: أكفء كرام؛ فأنزلتهم، وفرقت بينهم، وأسبغت لهم القرى،  
وزادت فيه. فلما كان اليوم الثاني بعثت بعض جواربها متكرة في زيّ  
سائلة، تتعرّض لهم، فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما،  
فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما حمل إليه. فلما كان اليوم  
الثالث، دخلوا عليها فقالت: ليصف كل واحدٍ منكم نفسه في شعره،  
فابتدر زيد وأنشأ يقول:

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| هلا سألت بني نهبان ما حسبي | عند الطعان إذا ما احمرت الحدق |
| وجاءت الخيل محمرا بوادرها  | بالماء يسفح عن لباقتها العلق  |
| والخيل تعلم أي كنت فارسها  | والجار يعلم أي الوابل الغدق   |
| هذا الشاء، فإن ترضى فراضية | أو تسخطي فإلى من تعطف         |

وقال أوس بن حارثة: إنك لتعلمين أنا أكرم أحساباً وأشهر أفعالاً من أن  
نصف أنفسنا لك، أنا الذي يقول فيه الشاعر:

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| إلى أوس بن حارثة بن لام    | ليقضي حاجتي فيمن قضاها     |
| فما وطئ الحصا مثل ابن سعدي | ولا لبس النعال ولا احتذاها |

وأنا الذي عُنْتُ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة، وأنشأ يقول:

فإن تنكحي ماوية الخير حاتما فما مثله فينا ولا في الأعاجم  
فتى لا يزال الدهر أكبر هممه فكأك أسير أو معونة غارم  
وإن تنكحي زيدا ففارس قومه إذا الحرب يوما أقعدت كل قائم  
وإن تنكحيني تنكحي غير فاجر ولا جارف جرف العشيرة هادم  
ولا متق يوما إذا الحرب سمرت بأنفسنا نفسي كفعل الأشايم  
وإن طارق الأضياف لاذ برجله وجدت ابن سعدى للقرى غير عاتم<sup>(٧)</sup>  
فأي هدى أهدى لك الله فاقبلي فإننا كرام من رؤوس الأكارم

وأنشأ حاتم يقول:

أمأوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني في طلابكم العذر  
أمأوي إما مانع فمبين وإما عطاء لا ينهنهه الزجر  
أمأوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر  
وقد علم الأرقام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر

إلى أن أتى على القصيدة، وهي مشهورة. فقالت: أما أنت يا زيد، فقد  
وترت العرب، وبقاؤك مع الحرة قليل. وأما أنت يا أوس، فرجل ذو  
ضرائر، والصبر عليهن شديد.

وأما أنت يا حاتم، فمرضئ الخلاق، محمود الشيم، كريم النفس، قد  
زوجتك نفسي.

## حب سحيم لعائشة بنت طلحة

قال أبو الحسن علي المدائني:

(٧) أي غير مبطن.

تزوج سحيم بن حفص بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو أبو عذرتها، فولدت له أولادًا، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر:

أيا طلح إن كنت أعطيتني      جمالية تستخف الضفارا  
فما كان نفعك لي مرة      ولا مرتين ولكن مرارا  
أبوك الذي بايع المصطفى      وسار مع المهدي حيث سارا

وقال أيضًا عن سحيم: صارمت عائشة زوجها، وكان في خلقها زعارة، وكان يلقي منها البلاء، ف قيل له: طلقها، فقال:

وإن فراقي أهل بيت أودهم      لهم زلفة عندي لإحدى العظام  
فكيف يصفوا العيش من بعدهم      وسخطهم يوماً.. عن الأنف خاطمي

وخطبها مصعب بن الزبير فقالت: إن تزوجته فهو على كظهر أمي، ثم سألت أهل المدينة فقالوا: اعتقي رقبة وتزوجيه، فتزوجها فأصدقها خمس مئة ألف، وأهدى لها خمس مائة ألف؛ فقال أنس بن أبي أنس بن زنيم:

تعطى الفتاة بألف ألف كامل      وتبينت سادات الجنود جياعا  
لو في أبي حفص مقالي      وأبشه ما قد أرى لارتاعا

فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال: إن مصعبًا قدم خيره.

وقال أبو الحسن عن الشعبي: كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت:

من أنت؟ قال: مولى عائشة بنت طلحة، خطبها مصعب بن الزبير وتزوجها فأحبها، وكانت امرأة جميلة في أذنها عِظْمٌ، وفي ساقها حموشة<sup>(8)</sup>. وقال قوم: في قدمها عِظْمٌ.

(8) الحموشة: الدقة.

ورؤيَ عن الشعبي أنه قال: أخذ بيدي معصب، فمضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي، فرفع سترًا فإذا عائشة، وإذا هي أحسن الناس وجهًا، فأعرضت وخلاني ودخل، فرجعت، ثم رحت إليه بالعشي وهو جالس، فأشار إلي بيده وقال: أرأيت ذاك الإنسان؟ قلت: نعم. فقال: أفرأيت مثله؟ فقلت: لا. قال: تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر:

وما زلت من ليلى لدن طر شاري إلى اليوم أخفي حبها فأبي<sup>(٩)</sup>  
وأحمل في ليلى لقلبي ضعينة وتحمل في ليلى علي الصغائن

يا شعبي: رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة، ثم قال لابن أبي فروة: أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوبًا، فقتل عنها مصعب، وأنبا الحسن قال: قال سلم بن قتيبة: رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد، فسلمت عليها، وانتسبت لها، فبكت وقالت: يرحم الله مصعب، ثم أرادت النهوض، فأخذت امرأتان يديها - وعندها نسوة - فاعتمدت على المرأتين، فما كادت أن تستقل حتى خذها وركاها، فقالت إحدى المرأتين: إنا بك للمتعبات، وكانت مديدة الجسم، مكتتزة اللحم، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشراقها.

## الثريا وعمر بن أبي ربيعة<sup>(١٠)</sup>

حدثنا الزبير بن بكار، عن مسلمة المخزومي عن أيوب: أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقًا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية

(٩) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢: ١٣٢) وروايته: «وأداجن».

(١٠) في الأغاني ج ١.

الأصغر، وكانت أهل ذلك جمالاً وتماماً، وكانت تصيف بالطائف، وكان عمر يغدو عليها على فرسه، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار، فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم، فقال: ما استطرفنا خبراً، إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش نسيت اسمها، ولعله نجم في السماء.

فقال عمر: الشريا؟ قال: نعم.

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة، فوجه فرسه إلى الطائف يركضه، وسلك أحسن الطرق وأقربها، حتى انتهى إلى الشريا، وقد توقعته وهي تتشوق له فوجدها سليمة ومعها أختها: رضية، وأم عثمان، فأخبرها الخبر، فضحكت وقالت: أنا أمرتهم لأختبر ما لي عندك، فقال عمر في ذلك هذا الشعر:

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| تشكى الكميت الجوى لما جهده | وبين لو يستطيع أن يتكلما     |
| فقلت له: إن ألق للعين قرة  | فهان عليّ أن تكل وتسأما      |
| لذلك أدنى دون خيلي رباطه   | وأوصى به ألا يهان ويكرما     |
| عدمت إذن وفري وفارقت مهجتي | لئن لم أقل قرنا إن الله سلما |

فقال مسلمة بن إبراهيم: قلت لأيوب بن مسلمة: أكانت الشريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة؟ فقال: وفوق الصفة، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس:

|                               |                           |
|-------------------------------|---------------------------|
| يا حبذا الحج والشريا ومن بالـ | خيف من أها وما في الرجال  |
| يا سليمان إن تلاق الشريا      | تلق عيش الخلود قبل الهلال |
| درة من عقائل البحر بكر        | لم يشنها مثاقب لآلي       |

تعقد المنزر السخام من الحر على حقو بادن مكسال

وحدثنا عمر بن شبة قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: زعم عبيد بن يعلى قال: حدثني كثير بن كثير السهمي قال: لما ماتت الثريا، أتاني الغريص فقال لي: قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا، فقلت:

ألا يا عين مالك تدمعينا      أمن رمد بكيت فتكحلينا؟  
أم أنت حزينة تبكين شجوا      فشجوك مثله أبكي العيوننا

## أبو الأسود الدؤلي وامراته وابنتهما

قال صاحب: «سنة المهدي»

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته في ابن لهما، وترافعا إلى زياد - وأراد كل أخذه - فقالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني، كان بطني وعاءه، وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام، حتى استوفى فصاله، وكملت خصاله، واستوكت أوصاله، وأمّلت نفعه، ورجو دفعه، أراد أن يأخذه مني كرهاً، فأنصفتي فقد أراد قهري، وحاول قسري.

فقال أبو الأسود: حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في تقويم أوده، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي، حتى يكمل عقله، ويستكمل ثبله.

فقالت المرأة: صدق أصلحك الله؛ حملة خفاً، وحملته ثقلاً، ووضعته شهوةً، ووضعته كرهاً.

فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعنا من سجعتك.

## المجرد والمرأة التي تبعها

قال ابن وهب: تبعت جارية إلى مترها، طامعاً فيها، فسقتني نبيذاً  
وغنت على عودها بصوت ما سمعت أعذب منه، ولا أنفذ إلى القلب:

كأني بالمجرد قد علتة.. نعال القوم أو خشب السواري

فقلت لها: جعلت فداءك، لم أفهم هذا الشعر، ولا أحسبه مما يغنى به.  
قالت: أنا أول من تغنى به، وإنما هو بيت لا يدرى قائله ومعه بيت آخر.

قلت: سُرِّيَني بأن تغنيه لعلي أفهم. قالت: ليس هذا وقته، هو آخر

ما أتغنى به.

قال: وجعلتُ لا أنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً، فلما أمسينا  
وجاءت العشاء الأخيرة، وضعت عودها، فقمت فصليت وما أدري كم  
صليت عجلةً وتشوقاً، فلما سلمت، قلت: تأذنين لي - جعلت فداءك -  
في الدنوِّ منك؟

قالت: هذا لك، ولكن بعد أن يتجرد كل منا، ثم ذهبت كأنها تريد  
أن تخلع ثيابها، فكدت أن أشق ثيابي من العجلة للخروج منها، ولما قمت  
بين يديها متجرداً. قالت: انته إلى زاوية البيت، وأقبل إليّ مقبلاً ومدبراً.  
قال: وبيننا أنا في طريقي إلى الزواية، أردت اجتياز حصر في الغرفة، فما  
كدت أن أستقرّ فوقه حتى هبط بي في خرّق تحته، وإذا أنا في السوق مجرداً،  
وإذا شيخان هناك قد كمنّا في ناحية، وأعدداً نعالهما، فلما هبطت عليهما  
بادراني فقطعا نعالهما على قفائي، وجاء أهل السوق، فشاركوهم فيضربي

حتى أنسيت اسمي، وبينما أنا أخبُطُ بنعالٍ مخصوفةٍ، وأيدٍ ثقَالٍ، وخُشبٍ  
دقاقٍ، إذا صوتٌ من فوق البيتِ يعني:

كأني بالجرّد قد علتّه      نعال القوم أو خشب السواري  
ولو علم الجرّد ما أردنا      لبادرنا الجرّد في الصحاري

## الشعراء العشاق



## جميل بثينة<sup>(١)</sup>

إنه لمعلوم أن بثينة محبوبة جميل قائد الشعر، وقد نسب بعض الشعراء بنساء مخصوصة، واشتهر كل واحد منهم بمن تغزل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثير بعزة، وعروة بن حزام بعفراء، وقيس مجنون بنى عامر بليلى، وقيس بن ذريح بلبى، والمرقش بفاطمة، وذو الرمة بميمة وهي الخرقاء، والعباس بن الأحنف بفوز.

وبعض الشعراء لا يلتزم التغزل بامرأة مخصوصة كما مرى القيس. وبثينة مصغر بثنة - قال صاحب الصحاح: البثنة - بالتسكين: الأرض اللينة، وبتصغيرها سميت: بثينة. أما قصة جميل بن معمر العذري، فقد روى صاحب «الأغاني» بسنده، قال: اجتمع جميل مع جماعة من رهطه يتحدثون، فقال بعضهم: بالله حدثنا بأعجب يوم لك مع بثينة. قال: نعم، مُنعت من لقائي مدة، وتعرضت لها جهدي، فلم أصل إليها، فبينما أنا ذات ليلة جالس بين

---

(١) في خزانة الأدب ج ٣

شجرات بالقرب من حيفا، وقد أقمت ثلاثاً أنتظرها، إذا شخص قد أقبل  
إليّ، فجلست وانتصيت سيفي، فلم ألبث أن غشيني الشخص، فإذا هي  
بثينة قد أكبت عليّ؛ فأدهشني ذلك، وبقيت متحيراً لا أحيّر جواباً إليها،  
ولا أراجعها كلمة حتى برق الصبح، وما استطعت أن أكلمها.

قالوا: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فأنشدهم قصيدة طويلة، وهذه

أبيات من أولها:

|   |                             |
|---|-----------------------------|
| أهاجم أم لا بالتناضب مربع                   | ورسم بإخراج الغديرين، بلقع  |
| ديار لليلي <sup>(٢)</sup> .. إذ نحل بها معا | وإذ نحن منها في المودة نطمح |
| فيارب حبيبي إليها، وأعطني الـ               | مودة منها، أنت تعطي وتمنع   |
| وإلا.. فصبرني وإن كنت كارها                 | فإني بها يا ذا المعارج مولع |
| فإن يك قد شطت نواها وقد نأت                 | فإن القوى مما تشت وتجمع     |
| جزعت غداة البين لما تحملوا                  | وما كان مثلي يا بثينة يجزع  |
| تمتعت منها يوم بانوا بنظرة                  | وهل عاشق من نظرة يتمتع؟     |

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جميلاً طال مقامه بالشام، ثم قدم وبلغ  
بُثينة خبره، فراسلته مع بعض نساء الحي، تذكر شوقها إليه، ووجدتها به،  
وواعدته لموضع يلتقيان فيه، فصار إليها، وحادثها طويلاً، وأخبرها بحاله  
بعدها.

(٢) لا يخفى أن جميلاً ينسب بثينة. وإنما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء في إخفاء أسماء  
معشوقهم أحياناً.

قال: وقد كان أهلها رصدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليها، فوثب جميل فسلَّ سيفه وشدَّ عليهما، فاتقياها بالهرب، وناشدته بشينة بالانصراف وقالت: إن أقمت فضحتني، ولعل الحيَّ أن يلحقوك، فأبى وقال: أنا مقيم، وامضي أنت وليصنعوا ما أحبوا، فلم تنزل تناشده حتى انصرف، وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه، فقال هذه الأبيات الستة:

بمختلف الأرواح بين سويقة وأحدب<sup>(٣)</sup> كادت بعد عهدك تخلق<sup>(٤)</sup>  
أضرت بها النكباء<sup>(٥)</sup> كل عشية ونفح الصبا<sup>(٦)</sup> والوابل<sup>(٧)</sup> المتبعق<sup>(٨)</sup>  
وقفت بها حتى تحلت عمايي<sup>(٩)</sup> ومل الوقوف الأرحي<sup>(١٠)</sup> المنوق<sup>(١١)</sup>  
وقال خليلي: إن ذا الصبابة ألا تزجر القلب اللجوج فيخلق  
تعز وإن كانت عليك كريمة لعلك من أسباب<sup>(١٢)</sup> بثنة تعتق  
فقلت له: إن البعاد يشوقني وبعض بعاد البين والنأي أشوق

(٣) سويقة وأحدب: موضعان.

(٤) تخلق: تبلى، يقال خلق الثوب وأخلق.

(٥) النكباء: كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أي عدلت.

(٦) نفح الصبا: النسيم العليل

(٧) الوابل: المطر العظيم.

(٨) المتبعق: المطر العظيم.

(٩) عمايي: بفتح العين من العماية، هي من عمى القلب.

(١٠) الأرحي: الجمال النجيب منسوب إلى أرحب وهي قبيلة، وقيل فحل، وقيل موضع.

(١١) المنوق: المذلل كالناقة.

(١٢) وقوله: لعلك من أسباب بثنة. روي بدله: لعلك من رق لبثنة ...

## كثير عزة

من «بلاغات النساء»<sup>(١٣)</sup> ما حدثنيه الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عباس السعدي قال: كان كثير بن عبد الرحمن يلقي من يحج من قريش في كل سنة بمهدية، ففعل سنة عنهم، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلبة جملاً، واستقبل الشمس في يوم صائف، فلم يأت قديداً حتى احترق وضجر، وجاء وقد راح الناس، إلا فتى من قريش تخلف ومعه راحلة له، على أن يلحق بهم.

قال الفتى القرشي: فإني لجالس إذ أقبل كثير فجلس إلى جنبي ولم يسلم، ثم جاءت امرأة جميلةً وسيميةً، فاستندت إلى خيمة من خيام قديد، ثم قالت له: أنت كثير بن أبي جمعة؟ قال: نعم. قالت: أنت الذي تقول:

و كنت إذا ما جئت أجلسن مجلسي وأعرضن عني هية لا تجهما

قال: نعم. فتأملت وجهه مبتسمة وقالت: أعلى مثل هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فقال لها: كثير. من أنت؟ واحتد عليها وهي ساكنة، ثم قال لها: لو أعلم من أنت لقطعتك وقطعت قومك هجاء. فلما سكن، قالت له: أنت الذي تقول:

متى تنتشروا عني العمامة تبصروا جميل الحيا أغفلته الدواهن؟

أنت جميل الحيا؟! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(١٣) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجر كثير، وسكت عنه حتى سكن. ثم قالت: أنت الذي يقول:  
يروق العيون الناظرات كأنه هرقلي وزن أهر التبر وازن

أهذا الوجه يروق العيون؟ إن كنت كاذبًا فعليك لعنة الله والملائكة  
والناس أجمعين. فازداد ضجرًا، وقال: قد أعلم من أنت، ولأقطعك  
وقومك، وقام، فالتفت فإذا هي قد ذهبت.

قال القرشي: فلما كان منصرفي من قديد، سألت مولاة هناك عن  
تلك المرأة، وقلت لها: لك عليّ إن أخبرتني من هي أن أطوي لك ثوبيّ  
هذين إذا قضيت إحرامي، وآتيك بما فأدفعهما إليك. قالت: والله لو  
أعطيتني وزنهما ذهبًا ما أخبرتك من هي. هذا كثيرٌ - وهو مولاي - قد  
أبيت أن أخبره من هي.

قال القرشي: فرحت وبى أشد مما بكثير!

## عمر بن أبي ربيعة

كان عمر بن أبي ربيعة<sup>(١٤)</sup> معروفًا بشغفه حبًا في النساء، وعشقًا

لحاسنهن، والتشبيب بمن يهواها، وهذه أبيات له:

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| وكادت توالي نجمه تتغور     | فلما تقضى الليل إلا أقله   |
| هبوب ولكن موعد لك عزور     | أشارت بأن الحي قد حان منهم |
| وقد شق معروف من الصبح أشقر | فما راعني إلا مناد تحملوا  |
| وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر | فلما رأته من قد تتور منهم  |

(١٤) في خزانة الأدب ج ٣ .

فقلت أباديهم فأما أفوهم  
 فقالت أتحيق كما قال كاشح  
 فإن كان ما لا بد منه فغيره  
 أقص على أحتي بدء حديثنا  
 لعلهما أن تبغيا لك مخرجا  
 فقامت كئيبا ليس في وجهها دم  
 فقالت لأختيها أعينا على فتى  
 فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا  
 فكان مجني دون من كنت أتقي  
 يقوم فيمشي بيننا متكرا فقالت لها  
 الصغرى سأعطيه مطرفي

من شعر أمية بن الصلت في الغزل

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من «الطويل»:

ألا حياء ليلى أجد رحيلي  
 تبدت له ليلى لتغلب صبره  
 أريد لأنسى ذكرها فكأتمما  
 إذا ذكرت ليلى تعشتك عبرة  
 وكم من خليل قال لي لو سألتها  
 وأبعده نيلاً وأوشكته قلبي  
 حلفت برب الراقصات إلى منى  
 تراها وفاقاً بينهن تفاوت  
 توأهفن بالحجاج من بطن نخلة  
 بكل حرام خاشع متوجج

ثلاث شخوص كاعبان ومعصر  
 علينا وتصديق لما كان يؤثر  
 من الأمر أدنى للخفاء وأستر  
 وما بي من أن تعلمتا متأخر  
 وأن ترجبا سرنا بما كنت أحصر  
 من الحزن تدني عبرة تتحدر  
 أتى زائرا والأمر للأمر يقدر  
 أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر  
 ودرعي وهذا البرد إن كان يحذر  
 فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر  
 وأما ينال السيف ثأرا فيثأر

وآذن أصحابي غداً بقفول  
 وهاجتك أم الصلت بعد ذهول  
 تمثل لي ليلى بكل سبيل  
 نعل بها العينان بعد نهول  
 فقلت: نعم ليلى أضن خليل  
 وإن سئلت عرفاً فشر مسول  
 خلال الملا يمدن كل جديل  
 ويمد دن بالإهلال كل أصل  
 ومن عزور والحبت حبت طفيل  
 إلى الله يدعوه بكل نقيـل

على كلِّ مدعانِ الرّواحِ معيدةٌ  
شوامذَ قد أرتجَنَ دونَ أجنّةٍ  
يمينَ امرئٍ مستغلظٍ باليَّةِ  
لقد كذبَ الواشونَ ما بحتُ عندهمُ  
فإن جاءكِ الواشونَ عني بكذبةٍ  
فلا تعجلي يا ليلَ أن تَنفَهَمِي  
فإن طبتِ نفساً بالعطاءِ فأجزلي  
وإلا فإجْمالٌ إليّ فإتني  
فإن تبذلي لي منك يوماً مودّةً  
وإن تبخلي يا ليلَ عني فإتني  
ولستُ براضٍ من خليلي بنائلٍ  
وكيسَ خليلي بالملولِ ولا الذي  
ولكن خليلي من يدومُ وصالهُ  
ولم أرَ من ليلى نوالاً أعدهُ  
يلومك في ليلى وعقلك عندها  
يقولون ودع عنك ليلى ولا همُ  
فما نَفَعَتْ نَفْسِي بما أمرُوا بهِ  
تذكّرتُ أتراباً لعزّةِ كالمها  
وكنتُ إذا لاقيتهنَّ كأنني  
تأطرنَ حتّى قلتُ لسننَ بوارحاً  
فأبدين لي من بينهنَّ تجهماً  
فلأياً بلائٍ ما قضينَ لبانةً  
فلما رأى واستيقنَ البينَ صاحبي  
فقلتُ وأسررتُ النّدامةَ ليّتي

ومخشيّةً ألاّ تعيدَ هزيبِ  
وهوجِ تبارى في الأزمنةِ حولِ  
ليُكذبَ قبيلاً قد ألحَّ بقيلِ  
بليلى ولا أرسلتهم برسيلِ  
فروها ولم يأتوا لها بجوبيلِ  
بُصّحَ أتى الواشونَ أم بجُبولِ  
وخيرُ العطايا ليلَ كلِّ جزيلِ  
أحبُّ من الأخلاقِ كلَّ جميلِ  
فقدماً صنعتَ القرضَ عندَ بذولِ  
توكّلتني نفسي بكلِّ بخيلِ  
قليلِ ولا راضٍ لهُ بقليلِ  
إذا غبتُ عنه باعني بخليلِ  
ويحفظُ سرّي عندَ كلِّ دخيلِ  
ألا ربّما طالبتُ غيرَ منيلِ  
رجالٌ ولم تذهبْ لهم بعقولِ  
بقاطعةِ الأقرانِ ذاتِ حليلِ  
ولا عجتُ من أقوالهم بفتيلِ  
حينَ بليطِ ناعمٍ وقبولِ  
مخالطةِ عقلي سلافِ شمولِ  
رجاءَ الأمانِ أن يقلنَ مقيلي  
وأخلفنَ ظنّي إذ ظننتُ وقيلي  
من الدّارِ واستقلنَ بعدَ طويلِ  
دعا دعوةً يا حبتربن سلولِ  
وكنتُ امرءاً أغتشُ كلَّ عدولِ

سَلَكْتُ سَبِيلَ الرَّائِحَاتِ عَشِيَّةً  
فَأَسْعَدْتُ نَفْسًا بَاهُوِي قَبْلَ أَنْ أَرَى  
نَدِمْتُ عَلَى مَا فَاتَنِي يَوْمَ بِنْتُمْ  
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ وَاهِيَةَ الْكُلَى  
تَكْنَفُهَا خُرْقٌ تَوَاكَلْنَ خَرْزَهَا  
أَقِيمِي فَإِنَّ الْغُورَ يَا عَزَّ بَعْدَكُمْ  
كَفَى حَزناً لِلْعَيْنِ أَنْ رَأَتْ طَرْفَهَا  
وَقَالُوا: نَأَتْ فَاحْتَرَمْنَا مِنَ الصَّبْرِ وَالْبُكَاءِ  
فَوَلَّيْتُمْ حُزُونًا وَقُلْتُمْ لِصَاحِبِي  
لِعِزَّةٍ إِذْ يَحْتَلُّ بِالْحَيْفِ أَهْلُهَا  
وَبَدَلٌ مِنْهَا بَعْدَ طَوْلِ إِقَامَةٍ  
لَقَدْ أَكْثَرَ الْوَأَشُونَ فِينَا وَفِيكُمْ  
وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنَّ طَرْ شَارِي

مَخَارِمَ نَصْعٍ أَوْ سَلَكَنَّ سَبِيلِي  
عَوَادِي نَأِي بَيْنَنَا وَشَغُولِ  
فِيَا حَسْرَتًا أَلَّا يَرَيْنَ عَوِيلِي  
وَعَتَّ مَاءَ غَرْبِ يَوْمِ ذَاكَ سَجِيلِ  
فَأَرْخَيْتُهُ وَالسَّيْرُ غَيْرُ بَجِيلِ  
إِلَيَّ إِذَا مَا بِنْتٌ غَيْرُ جِهِيلِ  
لِعِزَّةٍ عَيْرًا أَذْنَتْ بِرَحِيلِ  
فَقُلْتُ الْبُكَاءُ أَشْفَى إِذَا لَغْلِيلِي  
أَقَاتَلْتِي لَيْلَى بِغَيْرِ قَتِيلِ؟  
فَأَوْحَشَ مِنْهَا الْحَيْفُ بَعْدَ حُلُولِ  
تَبَعْتُ نِكَبَاءَ الْعِشِيِّ جَفُولِ  
وَمَالَ بِنَا الْوَأَشُونَ كُلَّ مَمِيلِ  
إِلَى الْيَوْمِ كَأَلْقَصَى بِكُلِّ سَبِيلِ

## حب امرئ القيس

من بين جبال اليمن السعيدة - وقد اشتهرت بمخضب أرضها -  
جبل يقال له: ضارج... وهو جبل معوف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى  
ويعلو الماء فيه، «العرمص» مكان مرتفع يقال له، «طامي» ويقال له أيضاً:  
ثور الماء، لتفجر ثورانه من بين صخور وأحجار.  
وقد ذكر البكري أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم، فلما أتوا

«ضارجاً» وهو ذلك الجبل الذي يفىء عليه الظل وارفاً جميلاً من نبات  
 العرمض، بخضرته اليانعة، ورائحته الطيبة.. ذكر أحدهم قول امرئ القيس:  
 ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائضها دامي  
 تيممت العين<sup>(١٥)</sup> التي عند ضارج يفىء عليه الظل عرمضها طامي<sup>(١٦)</sup>  
 وإنه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله  
 صنعها.

## ذو الرمة وميِّت

اشتهر ذو الرمة بحب خرقاء، ولقبت: مية. ومما يؤثر عنه أنه يخاطب  
 نفسه - في قصيدة طويلة كلها غزل ونسيب - فيقول:  
 وإذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلق حبال الوسائل  
 وأهله ودّ قد تبريت ودهم وأبليتهم في الحمد جهدي ونائلي

## توبة وليلى الأخيلىة

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان، وأبو إسحاق الزجاج، عن أبي  
 العباس محمد بن يزيد المبرد قال: ثبتت الروايات والأخبار «ليلى  
 الأخيلىة»<sup>(١٧)</sup> إن لم تكن امرأة توبة بن الحمير ولا أخته، ولا كان بينهما  
 نسب شائبك، إلا أنهما كانا جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر

(١٥) إشارة إلى الماء.

(١٦) الطامي: المرتفع الذي يعلو نباته الماء.

(١٧) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠.

بن صعصعة، وكان يحبها وتحبه، فأقاما على حب عفيف دهرًا، وتلك هي السنة في عشاق بني عذرة وغيرهم، إلى أن قتل توبة، وكان سبب قتله أنه كان يطلبه بنو عوف فأحسوا قدومه من سفره، فأتوه طرورًا، وبينه وبين الحي مسيرة ليلة، ومعه أخوه «عبد الله» ومولاه «قابض»، فهرب وأسلماه، ففي ذلك تقول «ليلي»:

دعا قابضا والمرهفات تنوشه فقبحت مدعوا، وليت داعيا  
فيا ليت عبد الله حل مكانه فأودى، ولم أسمع لتوبة ناعيا

ومن جيد ما تراثه به قولها:

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا وأحفل من دارت عليه الدوائر  
لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغاير  
فلا الحي مما يحدث الدهر سالم ولا الميت إن لم تصبر الحي ناشر  
وكل شباب أو جديد إلى بلى وكل امرئ يوما إلى الله صائر  
فلا يبعدنك الله توبة هالكا أحا الحرب إذا دارت عليه الدوائر  
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادعت على غصن ورقاء أو طار طائر  
قتيل بني عوف فيا لهفتا له وما كنت إياهم عليه حاذر

قال أبو القاسم رحمه لله: قولها: «أقسمت أبكي بعد توبة هالكا»، أي: لا أبكي بعد توبة هالكا. والعرب تضمّر «لا» في القسم مع المعنى، لأن الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون، كقولك: والله لأخرجن، وقال الله عز وجل: ﴿تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوْسُفُ﴾، أي: لا تفتأ تذكر يوسف. وقولها: «ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر» يقال: نشر الله الموتى فنشروا، أي أحياهم فحيوا.

قال الشاعر:

لو أسندت ميتا إلى نحرها      عاش ولم ينقل إلى القابر  
حتى يقول الناس مما رأوا      يا عجا للमित الناشر

ومن أغرب ما روي في (الصدى) ما رواه أبو علي من أن ليلي  
الأخيلية مرت مع زوجها في بعض نجعهم بالموضع الذي فيه قبر توبة،  
وكانت متزوجة في بني الألكح بن عبادة بن عقيل، فقال لها زوجها: لا بدّ  
أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمي عليه؛ حتى أرى هل يجيب صداه -  
كما زعم - حيث يقول:

ولو أن ليلي الأخيلية سلمت      عليّ، ودوني جنـدل وصفائح  
لسلمت تسليم البشاشة.. أو زفا      إليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت له: وما تريد من رمة وأحجار؟! فقال: لا بدّ من ذلك،  
فعدل بها عن الطريق إلى القبر، وذلك في يوم قائط، فلما دنت راحلتها من  
القبر، ورفعت صوتها بالسلام عليه، إذا بطائر قد استظل بحجارة القبر من  
فيح الهاجرة، فطار، فنفرت راحلتها ووقعت، فماتت!  
وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن: البلاء موكل بالنطق. كما  
يروى أن أحد المولعين بالخمير قال:

إذا مت فادفني إلى جانب كرمة      تروي عظامي في الممات عروقتها  
ولا تدفوني في الفلاة فإنني      أخاف إذا ماتت ألا أذوقها

وبعد حين من ذلك، مات ذلك المولع بالخمير، وزار قبره ذاكرٌ له  
فإذا هو عليه عريش، فتعجب من ذلك!

## عبيد الله بن ظاهر وجاريتيه

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال: أخبرنا أبو العباس المبرد قال: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وقد فصد، فظننت أن ذلك لعله، فأكثرت له من الدعاء، فقال: خفّض عليك أبا العباس، فليس ذلك لعله، وانظر ما تحت البساط، فنظرت فإذا رقعة فيها:

حلف الظريف بقطعه يده إن مس من يهواه بالألم  
حتى إذا ضاق الفضاء به جعل الفصاد تحلة القسم

قلت: حسن أيها الأمير، فما سببه؟ قال: مددت البارحة يدي إلى إحدى الجواري بالضرب، فألمت لما نالها من الألم، فحلفت بقطع يدي، فأفتيت بالفصد، ففعلت، وأنشدنا الأخفش لأبي نواس:

ما بال قلبك لا يقر خفوقا وأراك ترعى النجم والعيوقا  
وجفون عينك قد نثرن من البكا فوق المدامع لؤلؤا وعقيقا  
لو لم يكن إنسان عينك سابجا في بحر دمعته لمات غريقا

## بحر هوى ليس له شطّ

أخبرنا أبو بكر محمد بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكي، وبين يديه جاريتة يقال لها: خنساء، وكانت شاعرة ظريفة، فقال له: اعبت بها، فأنشأ يقول:

خنساء خنساء وحتى متى يرتفع الناس وتـنـحـط  
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقتي خيط

فقال خنساء:

وكيف منجاي وقد حل بي بحر هوى ليس له شط  
يدركك الوصل فتنجوبه أو يقع المهجر فتنحط  
حب زينب بنت إسحاق النصران

من فوائد الرضيّ الشاطبيّ المذكور، ما ذكره أبو حيان في الحب  
قال: وهو من غريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله  
محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينب بنت إسحاق النصراني:

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم بسوء ولكني محب لهاشم  
وما يعتريني في علي ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم  
يقولون: ما بال أنصاري تحبهم وأهل النهى من أعرب وأعاجم  
فقلت لهم: إني لأحسب حبهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

## التائب من الحب

قال الحجازي<sup>(١٨)</sup>: قال عبد الوارث: كان فيمن يقرأ عليّ مملوك  
مليح الوجه، رضيّ الخلق، حاد الذكاء. فخلوت به يوماً، وداعبته بعبارات  
تنبئ عن شدة شغفي به، فقال لي: حذار أن تعود لمثل هذا الكلام،  
فللجدران آذان، ورب عشرة لسان أودت بإنسان .. ولكن إذا لم تستطع  
الكتمان، فاكتب لي ما تحب أن تقوله في ورقة فتكون في أمان واطمئنان.  
قال: فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع مني، وكتبت في ورقة:

(١٨) في نفع الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

يا من له حسن يفوق به السورى      صل هاتما قد ظل فيك محيرا  
وامنن علي بساعة في خلوة      إن كنت تطمع في الهوى أن تؤجرا

وكتبت تحت البيتين كلامًا كثيرًا في هذا المعنى، ثم دفعت إليه الورقة خلسةً.  
فلما حصلت الورقة عنده كتب إليّ في غيرها: إنك لتعلم أني من  
بيت عريق في التقوى، وسأبقي عندي خطك شاهداً على ما فرط منك،  
ولئن لم تنته لأطلعن عليها أبي وغيره؛ فتصيبك فضيحة الأبد.

أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً.

فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه، وجعلتُ أرغب  
إليه في أن يرُدّ الرقعة إليّ، فأبى وقال: هي عندي رهن على وفائك بألا  
ترجع إلى التكلم في ذلك الشأن.

ولم يسعني إلا أن امتثلت، وتبت عن مثل هذه المداعبات.

## الحب والجمال

## حب امتداح النساء

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي من الشعراء  
المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء، عن براءة  
في القصد، تحمل في طياتها روحًا لا تؤمن إلا بالواقع، مهما  
يكلفه ما قصد إليه، دون أن يقيم لذلك وزنًا في استجلاب  
مرضاة أحد، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين، فمن  
وسائط قلانده:

دمعان في الأجنان يزدحمان      مضت الشبية والحبيبة فالتقى  
بمودعين، وليس لي قلبان      ما أنصفتني الحادثات رميني

وقوله من أخرى:

من بروق كواذب الإيماض      قلت للعين حين شامت جمالا  
فيارب حيلة في رياض      لا يغرنك هذه الاوجه الغر

وقوله من أخرى أيضًا:

فما بالها أبدلن جيما بصادها؟      خليلي عهدي بالليالي صوافيا  
أورخ يوم الموت يوم افتقادها      ولا تحسبا عيشي علي فياني  
ولا البدر إلا طالعا من بلادها      ولست أحب الضوء إلا لوجهها  
لسار فؤادي في طريق فؤادها      ولو أنني أنصفتها ورعيتها  
نفدت وحق الله قبل نفاذها      خليلي ما أبصرتما مثل أدمعي

وقال بعض الحكماء: ما آنس الإنسان، ولا عمّر المكان، ولا سلى الأحران، ولا أعان على الزمان مثل البيض العوان.

وفي كتاب مسلم، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".

وفي كتاب «الأربعين» للثقفى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل النبي - صلى الله عليه وسلم: "أي النساء خير؟" فقال: "التي تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها، ولا ماله".

وفي «الشهاب»: «النظر إلى المرأة الحسناء يزيد في البصر» والله در

أبي نواس إذ، يقول:

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

وقال شاعر آخر:

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاك

وقال غيره:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

## أعرابي يصف امرأة

قال العتيبي<sup>(١)</sup>: سمعت أعرابياً يصف امرأة فقال: بيضاء جعدة، لا يمس الثوب منها إلا مشاشة كتفيها، وحلمة ثديها، ورضفي ركبتيها، وجاني أليتيها، وأنشد:

(١) في العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥

أبت الروادف والثدي لقمصها      مس البطون وأن تمس ظهورا  
وإذا الرياح مع العشي تناوحت      نبهن حاسدة وهجن غيورا

وقال آخر: ليت فلانة حظي من أمني، ولرب يومسرتُهُ إليها حتى قبض  
الليل بصري دونها، وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفي الظماء.  
وذكر أعرابي امرأة فقال: تلك شمس باهت بها الأرضُ شمس سمائها،  
وليس لي شفيح في اقتضائها، وإن نفسي لكتوم لدائها، ولكنها تفيض عند  
امتلائها. أخذ هذا المعنى حبيب فقال:

ويا شمس أرضيها التي تم نورها      فباهت بها الأرضون شمس سمائها  
شكوت وما الشكوى لمثلي عادة      ولكن تفيض النفس عند امتلائها

وقيل لأعرابي: ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم؟ قال:  
نعم، كان الحب في القلب، فانتقل إلى المعدة، إن أطعمته شيئاً أحبها، وإلا  
فلا. كان الرجل إذا أحب امرأة ظل حولاً يطوف بدارها، ويفرح إن رأى  
من رآها، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار، وإنه اليوم يشير  
إليها وتشير إليه، ويعددها وتعدده، فإذا اجتمعا لم يشكوا حباً، ولم ينشدا  
شعراً.

وقال أعرابي يشكو لوعة الحب وكتمانه وصبره على من يجبه، ولا  
يطيق سلوانه:

شكوت فقالت: كل هذا تبرما      بحبي أراح الله قلبك من حبي  
فلما كتمت الحب قالت: لشد ما      صبرت وما بفعل شجي القلب  
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا      رضاها فتعتد التباعد من ذني  
فشكواي تؤديها، وصبري يسوءها      وتجزع من بُعدي وتنفر من قربي

فيا قوم هل من حيلة تعلمونها؟ أسيروا بها واستجيبوا الشكر من ربي

## الوصف بعد المشاهدة<sup>(٢)</sup>

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع  
الكلم في نظم الشعر، واتخذ لنفسه طرائق سهلة، غاية في البساطة، فكان  
يسمو بوصف ما أحسّ به، واستساغته، ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً  
يقربّه إلى الفهم، حتى يتذوق أنغامه المستمع شراباً عذباً سلسيلاً، ويملاً به  
اخرون صدره نسيماً صافياً عليلاً، ومن بدائع طُرفه قوله:

أفدي الذي قال وفي كفه      مثل الذي أشرب من فيه  
الورد: قد أينع في وجنتي      قلت: فمي باللثم يجنيه

وقوله، ولم أسمع في التعريض بالالتحاء أحسن منه:

قد برّح الحب بمشتافك      فأولاه أحسن أخلاقك  
لا تجفّه وارع له حقه      فإنه آخر عشاقك

وقوله في فصد الحبيب:

يا ليت عيني تحملت ألك      وليت نفسي تقسمت سقمك  
وليت كف الطيب إذ فصدت      عرقك أجرت من ناظري دمك  
أعرتّه صبغ وجنتيك كما      تعيره إن لثمت من لثمك  
طرفك أمضى من حد مبضعه      فالخط به العرق واغتنم ألك

(٢) في خاص الخاصل لثعالي.

وقوله من قصيدة أولها:

من أين للعارض الساري تلهيه      وكيف طبق وجه الأرض صييه  
هل استعان جفوني فهي تنجده      أم استعار فؤادي فهو يلهيه

ومنها:

بجانب الكرم من بغداد لي قمر      لولا التجميل ما أنفك أندبه  
وصاحب ما صاحبت الدهر من      دياره وأراني لست أصحبه  
في كل يوم لعيني ما يؤرقها      من ذكره ولقلبي ما يعذبه  
وما البعاد دهاني، بل خلائفه      ولا الفراق شجعان، بل تجنيه

وله أيضاً:

وقالوا اضطراب في الأرض فالرزق أوسع      فقلت: ولكن مطلب الرزق ضيق  
إذا لم يكن في الأرض حر يعيني      ولم يك لي كسب فمن أين أرزق؟

### أسنانُ النساء<sup>(٣)</sup>

قال أبو الحسن الأخفش: من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء  
- وإن كان شعراً ضعيفاً - قول ضمرة للنعمان بن المنذر، وقد سأله  
وصف النساء:

متى تلقَ بنت العشر قد نُصَّ ثديها      كلؤلؤة الغواص يهتَزُّ جيدها  
تجد لذةً منها لحنه روحها      وغرَّتْها والحسنُ بعد يزيدها  
وصاحبةُ العشرين لا شيء مثلها      فنلكَ التي تلهو بها وتُرِيدها  
وبنت الثلاثين الشفاءُ حديتها      هي العيشُ ما رقت ولا دقَّ عودُها

(٣) في أمالي أبي القاسم الزجاجي.

وإن تلقَ بنتَ الأربعينَ فغبطه  
 وصاحبةَ الخمسينَ فيها بقيه  
 وصاحبةَ الستينَ لا خيرَ عندها  
 وصاحبةَ السبعينَ إن تُلَفَ مُعرساً  
 وذاتَ الثمانينَ التي قد تجللت  
 وصاحبةَ التسعينَ يُرعرعشُ رأسُها  
 ومَن طالعَ الأخرى فقد ضلَّ عقلُها  
 وخيرُ النساءِ وُدُّها ووُلُودُها  
 من الباهِ واللذاتِ صُلْبٌ عمودُها  
 وفيها ضياعٌ والحريصُ يريدها  
 عليها فتلكم خزيهً يستفيدها  
 من الكبرِ الفاني وقُدَّ دريدها  
 وبالليلِ مقلقٌ قليلٌ هجودُها  
 وتحسبُ أنَّ الناسَ طُرّاً عبيدُها

### دائرة يلعب فيها البدر<sup>(٤)</sup>

عرف الشيخ سعيد السمان الدمشقي، بحبّ الجمال، وشغف  
 بتصوير ما يعشق تصويراً حساساً، ومن قوله مضمناً مصراعه الأخير:

يا رب ظي كالمدام حديثه  
 قد دخلته شمس النهار بكفه  
 فيسيغه سمعي وعقلي يطرب  
 مرآة حسن لونها يتذهب  
 هي دائرة والبدر فيها يلعب  
 والوجه فيها لائح فكأنما

وقال العالم أحمد المتيني، مضمناً نفس المصراع:

عائته وكأنه من لطفه  
 بالعقل والشطرنج يلعب وهو في  
 راح تكاد لها اللواحق تشرب  
 فسطاط حسن للمسرة يجلب  
 هي دائرة والبدر فيها يلعب  
 يحكي الزمرد خضرة فكأنما

### المرأة والطيب<sup>(٥)</sup>

يحملن أترجة نضخ العبير بها  
 كأن تطياهما في الأنف مشموم

(٤) في سلك الدر ج ١ ص ٢٠٨.

(٥) في الاقتصاب ص ٣٨٢.

الأترجة هنا: كناية عن المرأة شبهها بما في طيب رائحتها، وما في  
لونها من الصفرة وكانت العرب تكره بياض اللون المفرد، ولذلك كانوا  
يعيبون قول الأعشى:

ومن كل بيضاء رعبوبة لها بش ناصع كاللبن  
وكانوا يستحسنون قول ذي الرمة:

صفراء في نعج بيضاء في دعج كأنها فضة قد مسها ذهب

### نتف الوجه بالخيط<sup>(٦)</sup>

قال الناظم: لما استقر بنا المقام، بين إقدام وإحجام، ودفعنا الحنين  
إلى ما يُحمد عقباه، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْد رحمه الله:

فلما مضى شهر وعشر لغيرها وقالوا: يجيء الآن قد حان حينها  
أمرت من الكتان خيطا وأرسلت جريا إلى أخرى قريبا تعينها

هذه امرأة تنتظر عيرا تقدم وزوجها فيها، فأرادت أن تنتف وجهها بالخيط  
وتتهيا له. والجرى: الرسول. يقول: أرسلته إلى جارة لها تستعين بما في نتف  
وجهها بالخيط للتزيين. وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك؛  
لأنه أقرب إلى المعنى، وأسلس في المبنى، فقال:

فما زال يجري السلك في حر وجهها وجهتها حتى ثنته قرونها

ثنته: كفته. وقرونها: ذوائبها، ومنه قول مجنون ليلى لزوجها:

بربك هل ضمنت إليك ليلى قيل الصبح أو قبلت فاها؟

(٦) في أمالي القاضي ج ١ ص ١٩٨.

وهل رفت عليك قرون ليلي رفيف الأقدوانة في شذاها

## تشبيه المرأة ببدر السماء

بـدت لمـيس كأنها بـدر السـماء إذا تـبـدى

قوله: «كأنها بدر السماء» في موضع الحال للمرأة، أي: بدت مشبهة البدر، و«إذا تبدى» ظرف لما دل عليه كأن من معنى الفعل، أي: برزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها، كأنها قد أرسلت نقابها، ودل على هذا بقوله: «كأنها بدر السماء إذا تبدى»، وإنما فعلت ذلك إما للتشبيه بالإماء حتى تأمن السباء، أو لما تدأخلها من الرعب. ومثله قول الشاعر:

ونسوتكم في الروع باد وجوهها يخلن إماء، والإماء حرائر

## لقاء فتى جميل الوجه في الجنة

ذكر المبرد عن أبي كامل، عن إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عمرو النخعي قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التبعد والاجتهاد، فترل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارئة منهن جميلة، فهويها وهام بما عقله، ونزل بالجارية ما نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسمّاة لابن عمّ لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى، أرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك، فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتي إلى منزلي. فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين؛ ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، أخاف نارا لا يجبو سعيها، ولا يخمد لهيها.

فلما أبلغها الرسول قوله، قالت: وأراه مع هذا يخاف الله، والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تدوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك، فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده، ويدعو لها؛ فغلبته عينه ذات يوم على قبرها، فرآها في منامه في أحسن منظر، فقال لها: كيف أنت وما لقيت؟ قالت:

نعم اخبئة يا سؤلي محبتكم حب يقود إلى خير وإحسان

فقال: على ذلك إلامصرت؟ فقالت:

إلى نعيم وعيش ولا زوال له في جنة الخلد ملك ليس بالفاني

فقال لها: اذكريني هناك، فإني لست أنساك. فقالت: ولا أنا والله أنساك، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا، فأعني على ذلك بالاجتهاد. فقال لها: متى أراك؟ فقالت: ستأتينا عن قريب فترانا. فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمه الله.

وذكر الزبير بن بكار أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة، وكان من عباد أهلها، فسمي القس من عبادته، فمر يوماً بجارية تغني، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه، فأمر أن يدخل عليها فأبى، فقال له: فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها. ففعل فأعجبته، فقال له مولاه: هل لك أن أحولها إليك؟ فامتنع بعض الامتناع، ثم أجابه إلى ذلك. فنظر إليها فأعجبته، فشغف بها وشغفت به.

وعلم بذلك أهل مكة، فقالت له ذات يوم: أنا والله أحبك، فقال: وأنا والله أحب ذلك. قالت: فما يمنعك؟ فإن الموضع خال! قال لها: ويحك،

إني سمعت الله يقول: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة، ثم هُض وعيناه تذر فان بالدموع من حبها!

## تكني المرأة بالشاة أو البيضة<sup>(٧)</sup>

خرج الرشيد في بعض أسفاره، فأخرج معه أخته غليّة، وكان قد بلغه أنها تعجب بسلام له اسمه «رَشَاء» فأبعده، وقيل قتله، ثم إنها علقته من بعده غلاماً آخر اسمه «طَلٌّ»، فكانت تكثر من ذكرها له. فقال لها الرشيد: والله لئن ذكرتَه لأقتلنك، فدخل عليها يوماً على حين غفلة وهي تقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، فلما شعرت به قرأت أول الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾، ثم أمسكت حتى لا تذكر اسم (طل)، وأكملت قائلة: «فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ... فالذي نهي عنه أمير المؤمنين؛ فابتسم الرشيد، وقال لها: «ولا هذا أيضاً يا أختي».

وقيل: إنه أخرج ذلك الغلام من قصره؛ فطار قلبها حزناً لفراقه، وقالت:

أيا سرحة البستان طال تشوقي      فهل لي إلى ظلِّ إليك سبيل؟  
متى يشتفي من ليس خروجه      وليس لمن يهوى إليه دخول

فانظر كيف ورّت «بطلٌّ عن طلٌّ» بعد أن قدمت ذكر السرحة - وهي الشجرة - لتتمكن من لفظة ظلٌّ فتبعد التهمة. وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السرحة أو الشاة أو البيضة أو القلوص، وهي الشابة من الإبل، وتكنّى بذلك عن المرأة.

(٧) في سناء المهدي ص ١٩٣.

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقتها، ومن أشجع الناس  
وأحسنهم بديهة، خطبها جماعة من أشرف الخوارج فردّتهم، وكانت مع  
أمير الخوارج قطريّ بن الفجاءة، في جند (الأباضية)، فكانت ترتجز في تلك  
الحروب وتقول:

أهل رأسا قد سئمت حمله      ألا فتى يحمل عني ثقله  
ألا فتى يحمل عني ثقله

والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات، وكان «قطري» يُشَبَّ بها، وفيها  
يقول في وقعة دُولاب، وهو من رقيق الغزل:

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ      وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ  
مِنَ الْحَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا      شِفَاءً لَّذِي بَثَّ وَلَا لِسَقِيمٍ  
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ      عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جَدِّ لَيْمٍ  
وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ      طَعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ  
غَدَاةً طَفَّتْ عَلَمَاءَ بَكْرُ بْنُ وائِلٍ      وَعَعَجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ  
فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا      يَمْجُجُ دَمًا مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ  
وَضَارِبَةً خَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى      أَعْرَى نَجِيبِ الْأُمَمَاتِ كَرِيمٍ  
أُصِيبُ بِدُولَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا      لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدِيرَ حَمِيمٍ  
فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلَنَا      تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ  
رَأَيْتُ فِتْيَةً بَاعُوا إِلَيْهِ نُفُوسَهُمْ      بِجَنَاتٍ عِنْدَ عِنْدِهِ وَنَعِيمٍ

### أَسْمَاءُ النِّسَاءِ<sup>(٨)</sup>

ولابن الوردي في «أسماء»:

(٨) الجزء رقم ٩٤٨ شعر تيمور.

أرى أسما إذا غضبت وصدت  
وإن هي واصلتني طاب قلبي  
أكاد من الغرام أموت سقما  
كأني بت أوقيه بأسما

وفيهما أيضاً:

قد لامني في حب أسما عاذل  
فاعجب لجرى مدامع أوقفها  
أجرى مدامع مقلتي بدما  
من فعل ذاك الحرف في أسما

وفي آمنة:

قد وعدتني بالوفا آمنة  
كيف يخاف القلب من بينها  
وقد غدت بالرضا آمنة  
ومهجتي أضحت بها آمنة

وفيهما أيضاً:

هيفاء كالغصن الرطيب قوامها  
تهددني بالهجر في الوصل عامدا  
محبته في لجة القلب كامنه  
فأصبح منها خائفا وهي آمنة

وللأزهري في أنس:

آنست بالوصل مذ جاءت به أنس  
عن مالك قد روى نيران وجنتها  
يوما وعاذلها قد باء بالخرس  
لكن حديث اللقا أرويه عن أنس

وله في حليلة:

قالوا حليلة صبحت  
لم لا تشرق لحالي  
بفرط وجدي عليمه  
في الحب وهي حلليمه

وفي خديجة:

خديجة قد سببتني  
وكانت الروح تقسو  
بنار خد وهيجه  
والآن روحي خديجه

وفيها أيضاً:

تعشق في الهوى قلبي فتاة  
أموت بحبها شوقاً وأحيا  
تزين البدر ذو حسن بهيجه  
إذا ناديت يا ستي خديجه

وفي زينب:

وعرض بذكرى حين تسمع زينب  
عساها ذكرى بسمعها  
وقل ليس يخلو ساعة منك آله  
تقول فلان عندكم كيف حاله؟

وفي سلمى:

لسلمى من لوحظها سهام  
إذا رامت تشك به فؤادا  
لها في القلب فتك أيّ فتك  
يموت المستهام بغير شك

وفي عائشة:

أيا دهر خبرني واشفني  
أيجل أي في المحبة ميت  
فسهام فكري في أموري طائشه  
وحبيتي من بعد موتي عايشه

وفيها أيضاً:

شغل القلب بقدر أهيف  
أنت دعني أن أمت في حبها  
تركت منه العوالي طائشه  
ثم دعها بعد عيني عايشه

وفي فاطمة:

فاطمة منذ كنت طفلاً بها  
كم أرضعتني وصلها بالهناء  
مت جوى وهي بذات عالمه  
ثم انتشت لي فاطمه

وفيها أيضاً:

هيفاء كالغصن لها قامه  
عادلة مع أنها ظالمه

قد أَرْضَعْتَ طِفْلَ الْهُوَيِّ مَرَّةً      بَوَصَّلَهَا ثُمَّ انْتَهَتْ فَاطِمَةُ

وَفِيهَا أَيْضًا:

قَاتَلْتِي قَدْ أَصْبَحْتَ      وَالْبَحْرُ مِنْهَا كَاطِمَةٌ  
نَادَيْتِيهَا يَا مَهْجَتِي      مَا الْإِسْمُ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ

وَلِلْأَزْهَرِيِّ فِي نَفِيسَةٍ:

نَفِيسَةٌ بِالْبَهَا مَلَكَتْ فَوَادِي      وَأَضْحَتْ فِي مَلَا حَتِّهَا رَيْسَةٌ  
وَقَدْ حَازَتْ لِفَرْطِ سَنَا بِهَا      وَذَاتِ الْحَسَنِ مَرْتَبَةَ نَفِيسَةٍ

وَلابن الجميل في عالمة:

عَالِمَةٌ عَالِمَةٌ بِالْجَفَاءِ      قَامَتْهَا عَادِلَةٌ ظَالِمَةٌ  
قَلْتُ لَهَا: هَلْ تَعْلَمِينَ الَّذِي      أَلْقَاهُ قَالَتْ: إِنِّي عَالِمَةٌ

وَلَهُ أَيْضًا فِيهَا:

عَالِمَةٌ لَهَا عَلَى      كَرَسِيِّهَا فَضْلُ جَسِيمٍ  
وَأَوْتَيْتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ      وَلَهَا عَرْشُ عَظِيمٍ

وَلابن الوردی في قابلة:

أَقُولُ لِقَابِلَةِ أَدْمَعِي      عَلَيَّ حَبِّهَا تَقْطَعُ السَّابِلَةَ  
أَنَا رَجُلٌ مَقْبَلٌ لِلْقَا      قَالَتْ: وَأَنَا امْرَأَةٌ قَابِلَةٌ

وَلَهُ فِي كَاتِبَةٍ:

كَاتِبَةٌ تَوْقِيعُ نَسْخِ الْجَفَا      يَصْدُرُ عَنْ سَمْتِهَا الرَّاحِمَةِ

تكنتم أسرار رقاعي لها أحسن بها كاتبة كاتمه

وله في فقيهة:

تفقهت في عذابي وبالغوت في جدالي  
خود تسيط غرامي عن طرفها الغزالي

ولالأزهري في خياطة:

أحبتها كالبدر خياطة مترها في القلب والطرف  
في ركوب الفرج من وصلها وللقريب الشل بالكف

وله في عجانة:

كلف الفؤاد بظبية عجانة ما كنت يوما آمنًا من هجرها  
عجنت فؤادي بالغرام فماؤها من أدمعي وقيقتها من حصرها

وله في جبانة، أي بائعة الجبن:

بايعة جبن مذهمت بها رأى الورى من روعي بها تعبانه  
وكل أهل الحي قد تحققوا بأنني أموت في الجبانه

وله في مسحرة:

عجبت في رمضان من مسحرة بديعة الحسن إلا أنهما ابتدعت  
جاءت تسحرنا يوما فقلت لها كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ولابن الوردي في رومية:

رومية الأصل لها مقلدة تركية صارمها هندي

تفضحني وجنتها فاعجبوا

من وجنة فاضحة الوردية

وله في مصرية:

مصرية كأنها البدر

فجل من خلقت

تملقني مكررا ولا

ينكر من مصر الملق

وله في شامية:

شامية شامة بوجنتها

يرق لي في حبها الشامة

أخشى من الملامة إذا قبلتها

فشوم بختي ينطق الصامت

وله في بدوية:

وي من البدو كحلاء الجفون بدت

في قومها كمهارة بين آساد

فلو بدت الحسان الحضر فقمن لها

على رؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية:

بي هيفاء من بنات العرق

أطلقت أدمعي وشدت وثاقي

ثم قالت: أتيت من باب أبرز

بالعطايا رأيت باب الطاق

وله في مشرقية:

جاءت من المشرق لا مالنا

في عينها شيء ولا جاننا هنا

وقالت: أحذر يا فتى فتنة

للناس والفتنة من هنا

وله في مغربية:

يا بنات الشرق حاذرن السطا

إن بنت الغرب في موكبها

ما ظهر البدر من مشرقه

كطلوع الشمس من مغربها

ولالأزهري في مجوسية:

عابدة النور سنا نورها  
قد أحرقت قلبي بهجرانها  
أوضح لي في الحب أعذارا  
فالويل ممن يعبد النارا

وله في نصرانية:

زمار بنت النصارى  
رجائي الشد منه  
فحُ لها أي فخ  
وكثرة الشد ترخي

وقال آخر في مليحة تلعب الشطرنج:

لاعبتها الشطرنج ثم ضربتها  
قالت: فنفسك، قلت: حصنتها  
بالرخ شاة تسترت بالفيل  
لكن خذي فرسي هناك وفيلي

## الغزل ووصف النساء



## الغزل والتغزل والفرق بينهما<sup>(١)</sup>

قيل لأبي السائب المخزومي: أترى أحداً لا يشتهي النسب؟

فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا!

والنسب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد.

قيل: الغزل هو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن، فمن

جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ. وقد نبه على ذلك، «قُدّامة»

وأوضحه في كتابه «نقد الشعر».

وقال الحاقمي: من حكم النسب الذي يفتح به الشاعر كلامه، أن يكون

ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلًا به غير منفصل منه، فإن القصيدة

مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد

من الآخر وباينه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه

وتُعفي معالم جماله.

## يا ليل الصب متى غده؟<sup>(٢)</sup>

من نوادر الطرائف ما ذكره «ابن بشكوال» في كتاب الصلة، كما

ذكره الحميدي أيضاً، وهو: كان أبو الحسن علي الحصري القيرواني ابن

(١) في العمدة، لابن رشيق ج ٢ ص ٩٤

(٢) في وفيات الأعيان، لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

خالة أبي اسحاق صاحب «زهر الآداب» حافظًا فاقهًا، وأديبًا عالمًا  
بالقراءات وطرقها.

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في غيرها «سبتة»، وله قصيدة  
نظمها في قراءات نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة، وله ديوان شعر، ومن  
قصائده السائرة القصيدة المشهورة التي أوتها:

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

وقد وازنما صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكناني أبو الفضائل  
المعروف بالقمرأوي - رحمه الله - بأبيات من جملتها:

قد مل مريضك عوده ورثى لأستيرك حسده  
لم يبق جفاك سوى نفس زفرات الشوق وتصعده  
هاروت يعنن في السحر إلى عينيك ويسنده  
وإذا أغمدت اللحظ فتكت فكيف وأنت تجرده  
كم سهل خدك وجه رضا والحاجب منك يعقده  
ما أشرك فيك القلب فكم في نار الهجر يخلده

أما قصيدة أبي الحسن علي الحصري القيرأواني فهي:

يا ليل الصب متى غده؟ أقيام الساعة موعده  
رقد السمار فأرقه أسف للبين يردده  
فبكاه النجم ورق له مما يرعاه ويرصده  
كلف بغزال ذى هيف خوف الواشين يشرده  
نصبت عيناي له شركا خوف الواشين يشرده  
وكفى عجا أنى قنص للسر سباني اغيده

صنم للفتنة منتصب  
صاح والخمير جنى فمه  
ينضو من مقلته سيفا  
فيريق دم العشاق به  
كلا لا ذنب لمن قتلت  
يا من جحدت عيناه دمي  
خداك قد اعترفا بدمي  
إني لأعيذك من قتلي  
بالله هب المشتاق كرى  
ما ضرك لو داويت ضنى  
لم يبق هواك له رمقا  
وغدا يقضى أو بعد غد  
يا أهل الشوق لنا شرق  
يهوى المشتاق لقاءكم  
ما أحلى الوصل وأعذبه  
بالبن وبالهجران فيا  
الحب أعف ذويه أنا

أهـواه ولا أتعبه  
سكران اللحظ معربه  
وكان نعا سا يغمه  
والويل لمن يتقلده  
عيناه ولم تقتل يده  
وعلى خديده تورده  
فعلام جفونك تجحده  
وأظنك لا تتعمده  
فلعل خيالك يسعده  
صب يدنيك وتبعده  
فليبك عليه عوده  
هل من نظر يتزوده  
بالدمع يفيض مورده  
وصروف الدهر تبعده  
لولا الأيام تنكده  
لفؤادى.. كيف تجلده؟؟  
غيري بالباطل يفسده

### استحسان وضاعة الوجه<sup>(٣)</sup>

كان لعز الدولة غلام ذكي وضيء الوجه، ولفرط ميله إليه جعله  
رئيس سرية جردت للحرب، ولم يستحسن المهيلمي ذلك منه، فكتب إليه:

ظبي يـرق المـاء في  
ناطو بمقعد خصره  
ضاع الرعيـل ومن يقوده  
وجناته ويـروق عـوده  
سيفا ومنطقة تـؤوده  
ضاع الرعيـل ومن يقوده

(٣) في نفع الطيب.

وكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهيلمي!

وفي «خزانة الأدب» للبغدادي ج ٣:

الجارية: جميلة من بعيد، مليحة من قريب، والجميلة هي التي تأخذ  
بصرك جملة، فإذا دنت منك لم تكن كذلك، والمليحة هي التي كلما كررت  
بصرك منها زادتك حسناً.

وقيل: الجميلة هي السمينة من الجميل وهو الشحم، والمليحة: هي  
البيضاء، والصبيحة كذلك، من الصُّبح لبياضه.  
وروى أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «حسن  
الوجه مالٌ».

وقال - عليه الصلاة والسلام - أيضاً: «اطلبوا الخير عند حسان  
الوجه».

وقال ابن عمر: قال - صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة تجلو البصر:  
النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن».  
ونظمها الشاعر فقال:

ثلاثة يذهبن للمرء الحزن      الماء والخضرة والوجه الحسن

## كواكب لا كواعب

كان عبد العزيز بن سرايا، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على  
الإطلاق، وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطع، وأتى بما أخجل زهر النجوم  
في السماء، كما قد أزرى بزهر الأرض في الربيع، تطربك ألفاظه المصقولة،  
ومعانيه المعسولة، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة، وسيوف مسلولة.

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ،  
ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير  
ومدحه، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبى  
التي أولها: «بأبي الشמוש الجانحات غواربا» وفيها، يقول:

|  |   |
|--|---|
| أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ التَّهْوُدِ ذَوَائِبَا  | فَجَعَلْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبَا       |
| وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً     | غَادِرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبَا     |
| بِيضٍ دَعَاهَنَّ الْعَبِيُّ كَوَاعِبَا         | وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشِدَ قَالَ كَوَاكِبَا    |
| وَرِبَائِبٌ، فَإِذَا رَأَيْتَ نَفَارَهَا       | مِنْ بَسَطِ أُنْسِكَ خَلْتَهُنَّ رِبَارِبَا     |
| سَفَهَا رَأْيِنَ الْمَأْتُوِيَّةَ عِنْدَمَا    | أَسْلَبْنَ مِنْ ظَلَمِ الشَّعُورِ غِيَاهِبَا    |
| وَسَفَرْنَ لِي فَرَأَيْتَ شَخْصًا حَاضِرًا     | شُدْهَتْ بِبَصِيرَتِهِ، وَقَلْبًا غَائِبَا      |
| أَشْرَقْنَ فِي حَلَلٍ كَأَنَّ وَمِيضَهَا       | شَفَقٌ تَدْرَعُهُ الشَّمْسُ جَلَابِبَا          |
| وَعَرَبِينَ فِي كَلَلٍ، فَقُلْتُ لِمُصَاحِبِي: | بَأَبِي الشَّمْسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبَا      |
| وَمُعْرَبِدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنِي عَطْفَهُ     | فُخَالٌ مِنْ مَرَحِ الشَّيْبَةِ شَارِبَا        |
| حَلَوِ النَّعْتِيبِ وَالِدَلَالِ يَرُوعُهُ     | عَتَبِي، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا       |
| عَاتِبْتُهُ، فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَائْتُهُ       | وَأَزُورُ الْحَاطِظَ وَقَطَّبَ حَاجِبَا         |
| فَأَذَابِنِي الْخَدُّ الْكَلِيمُ وَطَرْفُهُ    | ذُو التُّونِ، إِذْ ذَهَبَ الْعَدَاةَ مُغَاضِبَا |
| ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ لِحَسَنِهِ     | نُهْبًا، وَإِنْ مَنَحَ الْعَيْونَ مَوَاهِبَا    |
| لَاغُرُو إِنْ وَهَبَ النُّوَاطِرَ حِظْوَةً     | مِنْ نُورِهِ، وَغَدَا لِقَلْبِي نَاهِبَا        |

### كل فتاة بأبيها معجبة<sup>(٤)</sup>

أرجوزة للأغلب العجلي، يقول فيها:

كريمة أخوالها والعصبه قباء ذات سررة مقعبه

(٤) في خزنة الأدب ج ١

كأنها حقة مسك مذهبه      مكمورة الأعلى رداح الحجبه  
كأنها حلية سيف مذهبه      أهوى لها شيخ شديد العصبه  
ثم انشئت به فويق الرقبه      فأعلنت بصوتها: أن يا أبه  
كل فتاة بأبيها معجبة

## أصل بليتي من قد غزاني<sup>(٥)</sup>

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلب السعدي  
الصقلي المعروف بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد  
عاش نحواً من سبعين عاماً، كما تولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن  
الخلال، ومن مداعبته:

حيا بتفاحه مخضبة      من شففتي حبه وتيمني  
فقلت: ما إن رأيت مشبهها      فاحمرّ من خجلة فكذبني

وقال أيضاً:

وأصل بليتي من قد غزاني      من السقم الملح بعسكرين  
طيب طبه كغراب بين      يفرق بين عافيتي وبيني  
أتى الحمى وقد شاخت وباخت      فعاد لها الشباب بنسختين  
ودبرها بتدبير لطيف      حكاها عن سُنين أو حنين  
فكانت نوبة في كل يوم      فصيرها بحذف نوبتين

وقال أيضاً:

يا ورارثا عن أب وجد      فضيلة الطب والسداد

(٥) في فوات الوفيات.

وحاملا رد كل نفس همت عن الجسم بالعباد  
أقسم لو قد طيب دهرنا لعاد كونا بلا فساد

وقال من جناس بديع:

رب بيض سلن باللحظ بيضا مرهفات جفونهن جفون  
وحدود للدمع فيها حدود وعيون قد فاض منها عيون

وقال أيضا:

حذا متعة الشباب يع — نذر في حبها خليع العذار  
إذا بذات الخمار أمتع ليلى وبذات الخمار ألوهاري  
والغواني لا عن وصال غوانِ والجواري إلى جواري جواري

## تشبيب عمر بن أبي ربيعة

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر مديدة الجسم،  
مكتتزة اللحم، على جانب وافر من الجمال، حسنة الصورة، وفي خلقها  
أنفة وعزة وصرامة، حتى أن أبا هريرة رآها يوماً فسبح وقال: كأنها من  
الخور.

وقد روى أبو الحسن المدائني، عن عمر وأبي طارق بن المبارك، أن  
عمر بن أبي ربيعة قال يشب بعائشة ابنة طلحة:

أصبح القلب في الخيال رهينا مقصدا يوم فارق الظاعينا  
لم يرعني إلا الفتاة وإلا دمעה في الرداء سحا سخينا  
عجلت حمة الفراق علينا برحيل ولم تحف أن تبينا  
أنت أهوى العباد قربا وودا لو تواتين عاشقا محزونا

قاده الطرف يوم مر إلى الحي —  
وجلا برد بركة جندي  
فإذا ظبية تراعي نعاجا  
قلت: من أنتم؟ فصدت وقالت  
قلت: بالله ذي الجلالة لما  
أي من تجمع المواسم أنتم  
نحن من ساكني العراق وكنا  
قد صدقناك أن سألت فمن أن —  
قد نرى أننا عرفناك بالنع —  
بسواد الشيبين وثغر

من جهازا ولم يخف أن يحينا  
ضوء وجه يضيء لناظرينا  
ومها بهج المناظر عينا  
أميد سؤالك العالمينا؟  
إذ تبلت الفؤاد أن تصدقينا  
فأبيني لنا ولا تكذبينا  
قبلها قاطنين مكة حيننا  
ت عسى أن يجر شأن شؤوننا  
ت نظن وما قتلنا يقينا  
قد نراه لناظر مستبينا

فكانت عائشة تقول: والله ما قلت له هذا وما كلمته قط.

وأبنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال: دخلت عائشة بنت طلحة  
بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته، وقالت: يا أمير المؤمنين، مر لي  
بأعوان، فصير إليها قوماً يكونون معها، فحجّت ومعهما ستون بغلاً عليها  
الهوادج والرحائل.

## صبح المشيب يدل على ليل الشباب<sup>(٦)</sup>

قال الأمير أسامة بن منقذ:

قالوا نماء الأربعون عن الصبا  
كم حار في ليل الشباب فدلته

وأخو المشيب يجوز ثمة يهتدي  
صبح المشيب على الطريق الأقص

(٦) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦

وإذا عدت سني ثم نقصتها ومن المهموم فتلك ساعة مولدي

## الشاعر الغزال<sup>(٧)</sup>

من روائع البيان ما حكاه ابن حبان من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني وجه شاعره الغزال إلى ملك الروم؛ فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني، وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني، وسر سروراً عظيماً، ونال من لدنه ودّاً وتكريماً، حتى إنه مال إليه، وقرّب له، فطلب منه منادمته، إلا أنه امتنع لما أدرك جلية الأمر، معتذراً بتحريم الخمر.

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها، ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياء، فما لبث الغزال لا يميل طرفه عنها شغفاً بباهر ما استرعاها منها، وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه؛ فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله، فقال له: عرفه أيّ قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فإني لم أر قط مثلها، وأخذ في وصفها، وما شاهدته من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين، فلما ذكر الترجمان ذلك لملك الروم زاد إعجابه بالشاعر الغزال، كما سرّت الملكة بوصفه لها.

## غزال قد غزا قلبي<sup>(٨)</sup>

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال - وشهرة اسمه «غزال» - أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الخمسين

(٧) في نفح الطيب ج ١ ص ٤٥١

(٨) في نفح الطيب ج ١ ص ٤٥٠

أوتزید، وقد وخطه الشیب، ولكنه كان مجتمع الأشد، ضلیع الجسم،  
قسیمًا وسیمًا، فسألته یومًا زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه، فقال  
مداعبًا: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشیب؟ فقال: وما تنكرین من  
هذا؟ ألم تري قط مُهرًا ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| كلفت يا قلبي هوى متعباً   | غالبت منه الضغيم الأغلبا |
| إني تعلقت مجوسية          | تأبى لشمس الحسن أن تغربا |
| أقصى بلاد الله في حيث لا  | يلفى إليه ذاهب منذهبا    |
| يا تود يا ورد الشباب الذي | تطلع من أزوارها الكوكبا  |
| يا بأبي الشخص الذي لا أرى | أحلى على قلبي ولا أعذبا  |
| إن قلت يوما إن عيني رأته  | مشبهه لم أعد أن أكذبا    |
| قالت: أرى فوديه قد نورا   | دعابة توجب أن أدعبا      |
| فات لها: ما باله.. إنه    | قد ينتج المهر كذا أشهبا  |
| فاستضحكت عجا بقولي لها    | وإنما قلت لكي تعجبا      |

قال: ولما فهمها - الترجمان - شعر «غزال» ضحكت، وأمرته بالخضاب  
فعدا عليها، وقد اختضب وقال:

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| بكرت تحسن لي سواد خضابي     | فكان ذاك أعادني لشبابي   |
| ما الشيب عندي والخضاب لوأصف | إلا كشمس جللت بضباب      |
| تخفى قليلا ثم يقشعا الصبا   | فيصير ما سترت به لذهاب   |
| لا تنكري وضح المشيب فإنما   | هو زهرة الأفهام والألباب |
| فلدي ما تموين من زهو الصبا  | وطلاوة الأخلاق والآداب   |

## غرام أم جنون

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان، وقد كان يهيم بوصف محبوبته، ولم يعين لها اسماً؛ حتى لا يشهر بها في التشبيب، ولكيلا يعرفها عند العام إلا لمن لمس ودادها من الخاص، وفي الأبيات التي يناجيهما بما معان قد جمع فيها حسن التعبير، سحرًا حلالًا، وكان عفيفًا في دقة نظمه، وصفاء تعبيره، فقال:

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| تمكن مني السقم حتى كأنني   | توهم معنى في خفي سؤال     |
| ولو سامت عيناه في الكرى    | لأشكل من طيف الخيال خيالي |
| سمحت بروحي وهي عندي عزيزة  | وجدت بقلبي وهو عندي غالي  |
| وقد خفت أن تقضي عليّ منيتي | ولم أقضِ أوطاري بيوم وصال |
| وهون ما ألقى من الوجد أنه  | صدود دلال لا صدود ملال    |
| فلو كان ذاك الصد منه ملالة | شدت عن الدنيا مطي رحالي   |

ثم ما لبث أن استرسل في مواجيدته، واستلهم مشاعر أناشيده. فقال:

|                      |                        |
|----------------------|------------------------|
| ما بال قلبك بستين    | أبه غرام أم جنون؟      |
| برح الخفاء بما تجن   | فأذهب الشك اليقين      |
| حتى مشى بين الجوا    | نح والضلوع هوى نفين    |
| وإلى متى قلب المتـ   | يم في يد البلوى رهين   |
| شخصت له فيك العيو    | ن وقسمت فيك الظنون     |
| وسليت ألباب الورى    | بلوا حظ فيها فتون      |
| وقوام أغصان الربا    | ض وأين تدرك الغصون     |
| الحسن في الأغصان فنن | وهو في هذا فنون        |
| من أين للأغصان ذا    | ك الحسن والسحر المبين؟ |

أم ذلك الورد الجنيّ بجمده والياسمين؟

### سلعوس وسلعست<sup>(٩)</sup>

قال إبراهيم بن المهدي: كنت يوماً بحضرة المأمون، فقالت لي  
«عريب» على سبيل العبث: ياسلعوس. فقلت:

أما لعريب أن ترى غير سلعسه فكوني كما أنت، تكوني كمؤنسه  
فقال المأمون على الفور:

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شك أن ذلك وسوسه  
قال إبراهيم: فعجبت من فطنة المأمون. وقلت: كذا - والله - يا أمير  
المؤمنين قدرت، وإياه أردت!

### عاتكة بنت معاوية

حدثني الكراني قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، قال:  
حدثنا صالح بن حسان، قال: وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن  
المرزبان، قال: حدثني محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن السري، قال:  
حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد، واللفظ لصالح بن حسان، وخبره أتم.  
قال: حجت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان فترلت من مكة بذي طوى،  
فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق، وذلك في وقت  
الهاجرة، إذ أمرت جواربها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها، عليها

(٩) في إرشاد الأديب ج ١ ص ١٦٣

شفوف لها، تنظر إلى الطريق، إذ مر بها أبو دهب الجمحي، وكان من أجمل  
الناس وأحسنهم منظرًا، فوقف طويلًا ينظر إليها وإلى جملها، وهي غافلة  
عنه، فلما فطنت له سترت وجهها، وأمرت بطرح الستر، وشتمته، فقال  
أبو دهب:

|                          |                       |
|--------------------------|-----------------------|
| إني دعاني الحين فافتادني | حتى رأيت الظبي بالباب |
| يا حسنه إذ سبني مدبرا    | مستترا عني بجلباب     |
| سبحان من أوقعها حسرة     | صبت على القلب بأوصاب  |
| يذود عنها إن تطلبتها     | أب لها ليس بوهاب      |
| أحلها قصرا منيع الذرى    | يحمى بأبواب وحجاب     |

وقال أيضًا:

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| طال ليلي وبت كالمخزون      | ومللت الثواء في جيرون       |
| وأطلت المقام بالشام حتى    | ظن أهلي مرجمات الظنون       |
| فبكت خشية التفارق جمل      | كبكاء القرين إثر القرين     |
| وهي الزهراء مثل لؤلؤة الغو | اص ميزت من جوهر مكنون       |
| وإذا ما نسيتها لم تجدها    | في سناء من المكارم دون      |
| ثم خاصرتها إلى القبة الخض  | راء تمشي في مرمر مسنون      |
| قبة من مراجل ضربوها        | عند برد الشتاء في قيطون     |
| عن يساري إذا دخلت من البا  | د وإن كنت خارجاً عن يميني   |
| ولقد قلت إذ تناول سقمي     | وتقلبت ليلتي في فنون        |
| ليت شعري أمن هوى طار نومي  | أم براني الباري قصير الجفون |

## وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح

قال ابن بسام<sup>(١٠)</sup> كان المعتصم بن صمادح يوماً مع ندمائه، فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب من الدك، وحضراًيضاً هناك لاعب مصري ساحر، فكان لعبه حسناً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد:

|                                       |                                  |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| وتجن الهوى ناضراً ناضراً              | كذا فلتلح قمراً زاهراً           |
| أقام لنا هاملاً هامراً                | وسيك صوب ندى مغدق                |
| منيرا لنور الضحى باهراً               | وإنَّ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْتَقَا   |
| لَحَظْنَا مُحَيَّا الْعُلَا سَافِرَا  | صَبَاحُ كَصَطْبَاحِ يَاسْفَارِهِ |
| وما زال كوكبها زاهراً                 | وأطلعت فيه نجوم الكؤوس           |
| وأحضرتنا لاعبا ساحرا                  | وأسمعتنا لاحناً فاتناً           |
| فَتَنُظُرُ مَا يُنْذَهُلُ التَّاطِرَا | يرفرف فوق رؤوس القيان            |
| فتبصر طالعها غائراً                   | ويخطفها ذيل سرباله               |
| وباطنهما ينثني ظاهراً                 | فظاهرها ينثني باطناً             |
| دقائقُ تنثني الحجي حائراً             | وتنناه ثمان لألعابه              |
| خَوَاطِرُ وَلَهَّتِ الْخَاطِرَا       | وفي قيم الرّاح من سحره           |
| فما الوهم عن وردها صادراً             | إذا ورد اللحظ أنهاها             |
| ويجعل غائبها حاضراً                   | وسرورك يجتذب الغربات             |

## وصف جارية المنذر إلى أنوشروان

أهدى المنذر الأكبر<sup>(١١)</sup> إلى أنو شروان، جارية كان قد أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني، وكتب إلى أنو شروان يصفها فقال:

(١٠) نفع الطيب ج ٢ ص ٨١٦

(١١) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩

إني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر،  
بيضاء قمراء، وطفاء كحلاء، دعجاء عيناء، قنواء شماء، برجاء زجّاء،  
أسيلة الخد، شهية المقبل، جتلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط،  
عيطاء عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد،  
حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميصة الخصر،  
غرثى الوشاح، رداح الإقبال، رابية الكفل، لفاء الفخزين، رياء الروادف،  
ضخمة المأكمتين، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم،  
قطوف المشي، مكسال الضحى، بضّة المتجرد، وهي سموع للسيد، ليست  
بخنساء ولا سفعاء، دقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغد في بؤس، رزينة  
حليمة، ركيئة، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها،  
وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها  
رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صناع الكفين، قطعة  
اللسان، رهوة الصوت، ساكنة، تزين الوليّ، وتشين العدو، إن أردتها  
اشتيتها، وإن تركتها انتهت.

## فارس عربي جميل

حكى محمد بن إسحاق<sup>(١٢)</sup> قال: كنت مشغولاً بأخبار العرب  
وأشعارها، وأذكر أنها من أغرب الأشعار، وأميل إلى ذكر أيام العرب،  
وأحب أن أسمعها وأجمعها، فتزل علينا في بعض الأيام فتیان من بني ثعلبة،  
فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم، وأجمع من أخبارهم، فمررت بفناء

(١٢) في العزيز الخلى ص ٧٦٢

خيمة، وإذا غلام ما رأيت مثله قط حسنًا وجمالًا، له ذؤابتان كأنهما السَّبَح المنظوم، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة تمه، وعنده امرأة أحسن منه وأجمل، وأكثر ما أسمع من كلامها (يا بني)، وهو يبتسم لها، وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعب عذراء، ولا يرد لها جوابًا من الاستحياء؛ فاستحسنت ما رأيت منهما، فدنوت من الحباء، فبصرت المرأة بي، ثم قالت لي: يا حضري، ما حاجتك؟ فقلت: لا حاجة لي إلا الذي استحسنت منك ومن هذا الغلام. فقالت: أتحب أن أسمعك شيئًا من خبره، وهو خير لك من نظره؟ فقلت لها: هاتي لله در أبيك. فقالت لي: إني حملته تسعة أشهر، فكنا في عيش ضنك كدر، ورزق نزر حقير، حتى إذا شاء الله أن أضعه، فوضعتة - بحمد الله - خلقًا سويًا، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعتة حتى من الله علينا، وأجزل وسهل وتفضل بيمن وجهه وسعادة طلعتة، فسميته (مالكًا)، ثم أرضعتة حولين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من المهد بيبي وبين أبيه، فنشأ بيننا كأنه شبل أسد، نقيه برد الشتاء وحر الصيف، فلما مر عليه خمسة أعوام دفعته إلى مؤدب يعلمه القرآن، فقرأه وتلاه، ونظم الشعر ورواه، حتى أتم سبع عشرة سنة، فأركبته عتاق الخيل ففارس، وحمل السلاح فتشرس، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ، وأنا خائفة عليه وجلة مشفقة من الألسنة أن تشينه، ومن الأخطار أن تعينه، حتى شاء الله أن تصيبنا سنون أجذبت بلادنا، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا، ونزلنا في غير منازلنا، فخرج أصحابنا لطلب ثأرهم، وخلفه عن الركوب معهم وجع أصابه، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدو، ولم يتولنا عقل، ولا هدونا. فما كان إلا هنيهة حتى حازوا على الأموال، وانهمزم الرجال، وهو في البيت يسألني عن الصوت، وأنا أكاثمه خيفه عليه، حتى علت الأصوات، وبرزت المخبات، فلما سمع ذلك ثار كما

يثور الليث المنضب، وأسرج فرسه، ثم أفرغ عليه لأمة حربته، وتقلد سيفه، واعتقل رمحه. ثم لحق العدو، فطعن أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً، فرجعوا إليه، فأروه ولدًا لطيفًا، صبيًا ظريفًا، فعطفوا عليه... وتلقاه مضرًا بالسيف، وطعنًا بالرمح، حتى هلك أكثرهم وفرّ الباقون!

## غَنِيَهُ شَحَادُهُ

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| لو كان بالصبر الجميل ملاذه   | ما سح وابل دمعته ورذاذه    |
| ما زال جيش الحب يغزو قلبه    | حتى وهي وتقطعت أفلاذه      |
| لم يبق فيه من الغرام بقية    | إلا رسيس يحتويه جذاذه      |
| من كان يرغب في السلامة فليكن | أبدا من الحدق المراض عياده |
| لا تخدعك بالفتور فإنه        | نظر يضر بقلبك استلذاذه     |
| يا أيها الرشأ الذي من طرفه   | سهم إلى حب القلوب نفاذه    |
| در يلوح بفيك: من نظامه؟      | همر يجول عليه: من نباذه    |
| وقناة ذاك القد: كيف تقومت؟   | وسنان ذاك الحظ: ما فولاذه؟ |
| رفقا بجسمك لا يذوب فإنني     | أخشى بأن يجفو عليه لآذُهُ  |
| هروت يعجز من مواقع سحره      | وهو الإمام، فمن ترى أستاذه |
| تالله ما عقلت محاسنك امرأ    | إلا وعز على الورى استنفاذه |
| أغريب حبك بالقلوب فأذعنت     | طوعا وقد أودى بها استحواذه |
| ما لي أتيت الحظ من أبوابه    | جهدي، فدام نفوره ولواده    |
| إياك من طمع المنى فعزیزه     | كذليله، وغنيّه شحاذه       |



## العيون



## لأعذبين العين

قال الشاعر<sup>(١)</sup> ابن الصفدي يصف العيون:

(١) هي التي توقع القلب في التعب، وتوفر نصيبه من أسهم  
الهم والنصب، وترميه بدواعي الهوان، ودواعي الهوى،  
وتسلمه إلى مكابدة الغرام، ومكابدة الجوى، لو عذبت بطول  
السهر، وكثرة الدموع، وبفيض الشئون، وعدم الهجوع،  
وبمسامرة الأحزان والفكر، وبمراقبة النجوم إلى السحر،  
وبعدم الإغفاء وطول السهر، لكان استحقاقها وجود جود  
الدمع وإن ظما، وعدم منال المنام وإن نما:

لأعذبين العيون غير مفكر      فيما جرت بالدمع أو سالت دما  
ولأهجرن من الرقاد لذيله      حتى يعود على الجفون محرما  
هي أوقعيني في حبال فتنة      لو لم تكن نظرت لكنت مسلما  
سفكت دمي فلأسفحن دموعها      وهي التي بدأت وكانت أظلما

ولعل موجب هذه الواعظة، والألفاظ التي هي بالتحذير لافظة أني  
خرجت في بعض الأيام متفرجاً وسارحاً، وجائلاً بطرفي في الرياض وسائحاً،  
وصحبي صديق لي في المحبة صادق، ورفيق لي فيما أروم موافق، قد ملك

---

(١) في لوعة الشاكي ودمعة الباكي.

كل حسن ولطافة، وجمع كل حذق وظرافة، ينصب لخدمتي لا يملُّ ولا يسأم، ويتعب في مرضاتي لا يكل ولا يندم، ويجتهد في موافقتي لا يمن ولا ينم، ويجسن مرافقتي لا يُذم ولا يذم، قد اتخذته جهينة أخباري، وكترًا لخزائن أسراري، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل، وهو عندي كما قيل:

بروحي من لا أستطيع فراقه      ومن هو أوفى من أحي وشقيقي  
إذا غاب عني لم أزل متلفتًا      أدور بعيني نحو كل طريق

## معاني لفظ العين

للعامة أحمد السجاعي - المتوفي سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة في معاني لفظ العين، وهي في قنّها غريبة قد احتوت على معان في لفظ (عين)، وقد جعل حروف اسمه في أوائل أبياتها بالترتيب، وهذه هي القصيدة كما نقلت من خط الشيخ مصطفى البدري في كراسة «مجموعة لغوية»، وقد وضعنا تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده:

|                           |                                  |
|---------------------------|----------------------------------|
| أيا ظبي الفلا وكحيل عين   | ويا بدر الدجى وضياء عين (الشمس)  |
| حميت من المكاره يا غزالاً | حوى كل الكمال بدون عين (العيب)   |
| ملكتم القلب مني يا حبيبي  | وحق المصطفى انجري لعين (الماء)   |
| دعانا للهداية نعم طه      | رسول قد أبان لطرق عين (القبلة)   |
| أمين سيد ما فيه شك        | به تمدي الأنام بكل عين (الناحية) |
| له ذات خلت عن كل سوء      | وقلب قد خلا من شين عين (الرياء)  |
| سما فوق السماء ونال قرباً | وخاطب ربه وحظى بعين (النظر)      |
| جميل النفس والأفعال قطعاً | صفي خالص من قبح عين (الميل)      |
| أذاع الخير فينا كل وقت    | وعوذ أمة من شر عين (الحسد)       |

علا رتباً فليس لها انتهاء  
يقوم شريعة غراء فينا  
رؤوف بالعباد رحيم قلب  
كريم نتقى بحر العطايا  
عظيم مجتبي قد ظللته  
خليل الله أحمد ذو كمال  
رحيم بالعباد سريع بأس  
كبير القدر في الدارين حقا  
رسول الله أنت لنا ملاذ  
فكم صرفت عنا من كروب  
وخلقك مبدأ الأشياء حقا  
عليك الله صلى مع سلام  
وآل ثم أصحاب جميعا  
وكم قضبوا بسيف الله رأسا  
وكم أحيأ بهم ربي علوما  
كذا أتباعهم ما قال عبد:

وأظهر دينه خيار عين (الجماعة)  
بها كم قد هدى من كل عين (الإنسان)  
عظيم القدر سيد كل عين (الكبير)  
فكم منح الأنام جزييل عين (المال)  
لدى حر عظام كل عين (السحاب)  
مجير الناس من لحظ بعين (المطر)  
على قوم لئام مثل عين (الطائر)  
مغيث الناس من حر لعين (شعاع الشمس)  
لنا فيك الرجا يا نسل عين (الخيار)  
بدينا ثم أخرى عمد عين (الجد واليقين)  
حبيبي أنت أول كل عين (الشيء)  
أصولك مثل ذا من هم كعين (الذهب)  
فهم بذلوا لدين كل عين (الدنيا أو النفس)  
من الأعداء، وكم قهروا لعين (الشديد)  
مغية ومنها ذات عين (الحضور)  
أيا ظي الفلا وكحيل عين (الباصرة)

## وصف العين وأسماء أجزائها

في أول كتاب (سحر العيون): الباب الخامس في وصف العين،  
وأسماء أجزائها، وعيوبها الخلقية وغيرها. قال المؤلف: اعلم يا نور الأعيان،  
وأعز من إنسان عيون الأجنان، أن (مقلة العين) في اللغة هي: الشحمة  
التي تجمع السواد والبياض، سميت بذلك من قولهم: مقلت الرجل في الماء:  
إذا غوصته فيه، وتماقل الرجل في الماء: إذا غاص فيه، وتماقل الرجلان في

الماء: إذا تغاوصا فيه؛ ليعلم أيهما أصبر على الغوص، فلما كانت حبة العين غائصة في مائها سميت: المقلّة، ويقال: ما مقلت عيني مثل فلان: أي: ما نظرت، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجبي:

لهاعين غزل وغزل مكحلة، ولي عين تباكت  
وحاكت في فعالها المواضي فيا لك مقلّة غزلت وحاكت

و(الحدقة): هي السواد الأعظم (في العين)، سميت بذلك لأن البياض محدد بها، ويقال: أحدق القوم به وحدقوا به - لغتان - أي أطافوا به من جميع نواحيه.

وقال الشريف الرضي:

يا قلب مالك لا تفيق وقد رأيت عيناك كيف مصارع العشاق؟  
فتكت بك الحدق المراض ولم تنزل تشجي القلوب جنابة الأحداق

و(الناظر): السواد الأصغر الذي يبصر فيه الرائي شخصه، والعرب تقول: هو مثالها، وإنسانها، ودوابها، وناظرها، وبصرها، وضيئها، وغيرها ولعبتها، ويؤبؤها، وتمثالها، وسوادها، وحبها، ومذلكها.

قال ابن مطرف: وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذي في حاسة البصر، والجمع: نواظر، وليس الذي يرى الرائي صورة نفسه في ذلك الماء لصفائه، ويستدل على صحة الحاسة بما تخيل فيه.

و(الناظران) أيضاً: عرقان في العين يسقيان الأنف، يقال إنه لمرتفع الناظرين، ويقال للذي استحيى من أمر: خفضله ناظره، والناظر يجمع

على: نواظر. قال شارح كتاب « الفصيح »: نظرت لعيني ونظرت:  
انتظرت وتنظرت.

و(نظرتُ) بمعنى: رحمت وتفكرت. وأنظرت الرجل: أخرته،  
وأنظرته: جعلته ينتظري، وقوله تعالى: (انظرونا) أي: أمهلونا: قال الشيخ  
برهان الدين القيراطي:

يا قاتلي بنواظر أجفانها      بسيوفها الأمثال فينا تضرب  
قل للغزال أو الغزالة إذ رنت      أو لاح يهرب ذا، وتلك تغيب

و(الحماليق): هي بواطن الأجفان، وأحدها حمالق، قال ابن مطرف: هي  
التي تراها - إذ قلبت للكحل - محمرة. وقال الزبيدي: الحماليق: نواحي  
العين، ويقال لمؤخري العينين مما يلي الصدغين: الحقيمان، الواحد حقيم.  
والأشفار: هي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، والواحد: شفر،  
ومنه شفير الوادي، وشفير كل شيء حرفه.

قال الشيخ جمال الدين بن نباته:

إذا كان شفر العين فوق محلها      فعندي أنا الأشفار خير من العين

و(الأهداب): الشعر النبات عليها، وأحدها: هذب بضم الهاء وسكون  
الدال المهملة، قال الشيخ برهان الدين:

أهداب لحظك للورى شرك فمن      أوثقته فيهن لا يتفلت  
كيف النجاة ورمح قدك مشرع؟      كيف الخلاص وسيف لحظك مصلت؟

و(الحجر): ما دار بالعين، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب، وجمعها محاجر،  
ويقال: محجر بفتح الميم وكسرهما، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً، وإنما سمي

الحجر محجراً لأنه مفعول من الحجر وهو المنع، فكأنه مانع عن العين من جميع جهاتها، ومنه الحجرة المحيطة بالجدر، والجمع: الحجرات.

قال الأمير سيف الدين المشدّ وأجاد:

إن العيون لك الحصون: فهدبها شرفاتها، وجفونها الأسوار  
وكذا محاجرها حولها والحافظون بها هم الأنوار

و(الماق) و(الموق): هو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مخرج الدمع من العين، ولكل عين موقان، وفي الموق وفي جمعه لغات كثيرة يقال: ماق بالهمز، وجمعه آماق، ومُوق غير مهموز، وجمعه أمواق وأماقٍ ومآق. والمقية: لغة في الماق أيضاً، والجمع مقى.

والماق: مقدمها. وقيل: الموق: مؤخر العين، وماق يجمع على مواق

مثل: قاض، وقواض.

وفي الحديث: «كان يكتحل من قبل موقه مرة، ومن قبل ماقه أخرى».

قال المتنبى يمدح كافور الأحمدي:

قواصد كافور توارك غيره ومن ورد البحر استقل السواقيا  
فجاءت به إنسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها وأماقيا

و(الألحاظ): جمع لحظ: وهو مؤخر العين الذي يلي الصدغ وجمعها لحاظ، ولو لاحظ.

فأما اللحظة: فهي النظرة، وجمعها: لحظات في القليل، واللحظ في

الكثير، ويجوز أن يجعل موضع اللحظة. يقال: لحظ العين مثل: رأي العين، ويقال: لحظ السماء بطرفه يلحظ لحظاً فهو لاحظ.

قال شيخ الشيوخ الأنصاري بحماسة:

يا نظرة قد جلبت لي حسن طلعتيه حتى انقضت وأدامتنا على وجل  
عابت إنسان عيني في تسرعه فقال لي : خلق الإنسان من عجل

و(الطرف): هو ما مال بأحد السوادين: السواد الأعظم، والسواد الأصغر.  
قال ابن مطرف: «طرف العين تحرك أشفارها»، ويقال: طرفة عين، والعين  
المطروفة منه مأخوذ، وهو أن يصيب سوادها شيء فيتأذى صاحبها به،  
وربما أبطلها، وهي «الطرفة»، قال الشيخ علاء الدين الوداعي:

كم دماء مطولة في هواه وبما ورد خده مطلول  
وحديث من السقام صحيح قد رواه عن طرفه مكحول

و(القبل): هو ميل الحدقة في النظر إلى الأنف، وأنشد الثعالبي - وقد  
استحسنه في «فقه اللغة» له - قول ذي الرمة:

أشتهي في الطفلة القبلا لا كثيرا يشبه الحولا

وقال جرير:

وما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

وقول علاء الدين البديوي:

أنا جدّ أنصار النبي لأنني يا أزرق العينين عبد الأشهل

وأنشدني المولى أبو الفتح محمد الرسام الأزهري:

رنت رمت فأصاب قلبي، وأذكت لهيئه

فهو المصاب بعين شهلاء وهي المصيبة

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

وأغيد كل شيء فيه يعجبني كأثما هو مخلوق على شرطي  
أجفانه السود ما تخطى إذا رشقت سهامها، وسهام الليل ما تخطي

وقال علاء الدين الوداعي:

رمتني سود عينيه فأصممتني ولم تبطني  
ومما في ذاك من بدع سهام الليل ما تخطي

وقال شهاب الدين الزعفريني:

ملك على العشاق، سكران طرفه لا عجب للحظ منه يعربد  
شكوت إليه أسر قلبي في الهوى فوقع لي سحر: الجفون يخلد

وقال بشار بن برد:

يا من برايق يحيي الورى وبسحر عينيه النواعس تقبل  
من سحر عينيك المهاة تعلمت وكذلك الغزلان منها تغزل

وقال ابن عباد:

ونظرن من خلل الستور بأعين مرضى يخالطها السقام صحاح

وله أيضاً:

وسنان قد خدع النعاس جفونه فحكى بمقلته ذبول النرجس  
مد غض طرفا بالحياء فإنني منه استحييت بأن أقبل مؤنسي

وقال الغزيّ:

كأنما سواد عين منيتي      كعنبر يا أنفسا لوام  
لا تنكروا مقالي تجاهلا      مع علمكم بأنما لوامه

وقال الشهاب بن القطان:

شاقني مارس فول      زهره حاكي عيونك  
وابتغى التعريض، قلنا:      لعن الله قرونك

آفة النظر وغائلته:

وكت إذا أرسلت طرفك زايرا      لقلبك يوما أتعبتك المناظر  
رأيت الذي لا كله أنت قادر      عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ولأبي العباس الصيني:

قم فاسقني بين خفق الناي والعود      ولا تبع طيب موجود بمفقود  
كأسا إذا أبصرت في القوم محتشما      قال الرور له قم غير مطرود  
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا      نزوج ابن سحاب بنت عنقود

وله أيضاً:

يقر الله عينك يا جفوني      فقد أعتقت من رق السهاد  
ويا عيني لك البشرية فنامي      وتهنيك السلامة يا فؤادي  
رغبت عن الهوى وهربت منه      إليك وكنت دهري في جهاد

وله أيضاً:

سقتني لتروح الراح ورحا وحقت      مواعيدها ذات الوشاح بإنجاز أناملها

على نرجس حيت به فكأنها

انضمت على حدق البازي

وله أيضاً:

إذا ضاق صدري وخفت العدا

تمثلت بيتا بحالي يليق

فبالله نبلغ ما نرتجي

وبالله ندفع ما لا نطيق

وله أيضاً:

يغيب البدر يوماً ثم يبدو

فمالك غبت عن عيني ثلاثا

إذا لم تطلع الاثنين عصرا

فلست بواجدي يوم الثلاثا

وله أيضاً:

ولقد مررت على الطباء وصادني

ظبي وعهدي بالطباء تصاد

نفذت لواحظه إلي بأسهم

أغراضها لأرواح والأجساد

وله أيضاً:

صب المداد وما تعمد صبه

فتورد الخد البديع الأزهر

يا من يؤثر حبره في ثوبنا

تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضاً:

من شاء عيشاً رخياً يستفيد به

في دينه ثم في دنياه إقبالاً

فلينظرن إلى ما فوقه أدباً

ولينظرن إلى من دونه مالاً

وله أيضاً:

أدرك بقية روحها رمق

وقد أذابت هموم النفس أكثرها

وإنما سلمت منها بقيتها

لأنها خفيت ضعفا فلم ترها

وله أيضاً:

ألا حل بي عجب عجب رأيت الهلال على وجهه  
تقاصر وصفي عن كنهه رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر في شوق إلى حبيب:

إن غبت عن ناظري فأنتم والظن أن لا تخون عهدي  
في القلب يا غاية التمني لا خيب الله فيك ظني



## تعدد الزوجات والأزواج



## هند وأبو سفيان<sup>(١)</sup>

كان مسافر بن عمرو بن أمية يهوى هنداً بنت عتبة بن ربيعة، وله فيها شعر يغني به، فلما فارقت زوجها الفاكه بن المغيرة خطبها إلى أبيها، فلم ترض ثروته وماله، فوفد على «النعمان» يستعينه على أمره، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان، وعلم منه أنه تزوج هنداً.

وكان مسافراً، ومن أحسن فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء، وقد عشق هنداً وعشقتة، فاتهم بها، وقال بعض الرواة: إنها حملت منه، فلما بان حملها أو كاد، قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر، فسأله عن قريش، فكان مما قال له: أنه تزوج من هند بنت عتبة؛ فدخله من ذلك ما اعتل معه، حتى استسقى بطنه.

وروى معروف بن خربوذ أن مسافراً قال في ذلك:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً      وأصبحت من أدنى جموتها حمى  
وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه      يقلب بالكفين قوساً وأسهما

(١) الأغاني ج ٨

## حكمة التعدد في الإسلام<sup>(١)</sup>

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يذكر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات، ولا المسلمين إلا ومعهم المسلمات، ولا الصائمين إلا ومعهم الصائمات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة وما فيها، وهكذا في غير ما آية.

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف فسيقف بنفسه على ما ذكر، فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب، وعليهن ما عليهم من العقاب، لا فرق بين حر وريقيق، ومولى وعتيق.

وقال - صلى الله عليه وسلم: "أيا امرأة غاب عنها زوجها فحفظت غيبته في نفسها، وطرحت زينتها، وقيدت رجلها، وأقامت

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه علي مبارك باشا.

الصلاة، فإنها تحشر يوم القيامة عذراء طفلة، فإن كان زوجها مؤمناً فهو زوجها في الجنة، وإن لم يكن زوجها مؤمناً زوجها الله من الشهداء"، فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلاً عن اتصافه بالفضل أن يضع عمل عامل، أو يجرم الراجي فضله الشامل؟

وهنا تعرض مستشرق إنجليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال: "لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام، لكن ربما يمنعهن شيء آخر أشق عليهن من كل شيء، وأضر... هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات".

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لتعدد الزوجات ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية، ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه، فالعرب للأوروبيين في كل ما علموه ملاذ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ.

وأما ما كان من أمر تعدد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين، بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ نقلًا عن دانيال القسيس أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متدينين بدين النصرانية؛ ومن ثمّ كان لكل من غنطران وشريير وداغوبير الأول ثلاث زوجات، ولعم داغوبير، وهو فلودمير أربع زوجات في آن واحد.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد كتب البابا غرينور الثالث إلى الواعظ بدسقاس حين أرسل إليه ليسأله عن جواز التزوج بامرأة ثانية: "إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنعها عن القيام بحقوق الزوج، جاز له أن يتزوج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤنمها الضرورية". ولعل الحكمة من إباحة تعدد الزوجات عند المسلمين، وعند كل من كان على رأيهم أن التدبير الإلهي لما ميز الرجل بقوة البنية، وطول زمن التناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعدار المعتادة للنساء في أوقات معينة - كالحيض والنفاس - راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عول عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كل طبيعة، ولا بأنها تقطع ما يخشونه من المفساد؛ فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة، ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنجليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرة فرأيت في السورة الثالثة ما ظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلُّ بشرف الإنسانية.

فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزوج منها خلاف ما يعهد، على أنه ليس له ذلك من أول الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدبها بالهجر، فإن لم يُجدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضر بها، وألا يخرج على حسن العشرة المأمور به في القرآن، الذي جعل

التشديد عليهن مذموماً، وصير من عاقبهن على كل ما فرط منهن ملوماً،  
كقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

وكقوله الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «احملوا النساء على  
أخلاقهن» وقول عمر بن الخطاب - رضي الله - عنه: «ينبغي للرجل أن  
يكون في بيته كالصبي، فإذا طلب ما عنده وُجدَ رجلاً».

وقال بعض الصحابة للنبي - صلى الله عليه وسلم - : "ما حق  
زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت،  
ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تمجر إلا في البيت".

ومعنى لا تقبح: لا تسمعها المكروه، ولا تشتمها، أو لا تقل لها:  
قبحك الله، ونحو ذلك.

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثير مما يعظم أمر النساء، ويوجب  
رعايتهن، والمبادرة إلى القيام بحقوقهن، وهل حرية النساء إلا أن يبلغن  
حقوقهن على أزواجهن حسبما تقتضيه المروءة، وصيانة النساء عن  
الدخول فيما ليس هن من خصائص الرجال. وليس فيما يقبل العقل المتره  
عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهن وما اشتتهن، مع ما  
يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهن وأهوائهن على عقولهن.

## المرأة التي تزوج عليها زوجها

في «سبحة المرجان»<sup>(٣)</sup> أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها

زوجها، منها قول ابن المعتز:

---

(٣) سبحة المرجان ص ٢٥٧ أشعار.

خبروها بأنني تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا  
ثم قالت لأختها، والأخرى جزعا: ليته تزوج تزوج عشرا  
وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دوهنن للسر ستر  
ما قلبي كأنه ليس مني وعظامي أحوال فيهن فترا

## عدم زواج الرجل بمن يهواها

معلوم أن العرب<sup>(٤)</sup> كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها. قال أبو رياش: كان الرجل إذا عرف بحب امرأة لم يزوجه إياه، وكان إذا سلم عليها عرف أنه يهواها، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأس منها، وهذا من إفراط شوقه، وغلبة هواه.

## رؤية الرجل المرأة عند تزوجها<sup>(٥)</sup>

قال الأصمعي: الحسن في العينين، والجمال في الأنف، والملاححة في الفم. وقالت امرأة خالد بن صفوان له: إنك لجميل يا أبا صفوان. فقال: كيف وليس عندي رداء الجمال، ولا برنسه ولا عموده. إن رداءه البياض وأنا آدم، وعموده الطول وأنا ربعة، وبرنسه سوداء الشعر وأنا أشمط، ولكن قولي: إنك مليح ظريف. ورؤي أن النبي - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة، فأرسل عائشة - رضي الله عنها - لتنظر إليها، فلما رجعت إليه قالت: ما رأيت

(٤) التبريزي على الحماسة ج ١

(٥) في الروض الأنف.

طائلاً. فقال: بلى، لقد رأيت خالاً في خدها اقصعرت منه كل شعرة في جسدك.

وقالت عائشة - رضي الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحاك لأول مرة: والله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها. وفي ذلك ما يدل على ما كان عليه أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من الغيرة عليه، والعلم بموقع الجمال عنده.

أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتى عرف من حسنها ما عرف، فذلك لأنها كانت مملوكة، لو كانت حرة ما ملأ عينيه منها؛ لأنه لا يكره النظر إلى الإماء. وجائز أن يكون نظره إليها، لأنه نوى تزوجها.

وروي أن امرأة قالت للنبي - صلوات الله عليه - : "إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله". فصعد فيها النظر ثم صوب، ثم أنكحها من غيره.

وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها، وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة: "لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما". وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك.

وقد أجازاه مالك في إحدى الروايتين عنه، ذكرها ابن أبي زيد. وفي مسند البزار: «لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي لا تشعر».

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لعائشة - رضي الله عنها - : "أريتك في المنام

يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فكشف عن وجهك، فقال لي: "هذه امرأتك". فقلت: "إن يكن من عند الله يمضه".

وهذا استدلال حسن. وفي قوله: "إن يكن من عند الله سؤال"؛ لأن رؤياه وحي، فكيف يشك في أنها من عند الله؟ والجواب: "أنه لم يشك في صحة الرؤيا، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه، فمن هنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها، أو لها تأويل".

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث: لا يخلو نظره - عليه الصلاة والسلام - إليها من أحد الأمرين، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب، وإلا فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾. والني - صلى الله عليه وسلم - هو بغير شك إمام المتقين، وقدوة الورعين. وجويرية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ، وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين أم خمس وخمسين من الهجرة.

### رايات من خمر النساء<sup>(٦)</sup>

وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عتبة بن غزوان والياً على البصرة، وقال له: يا عتبة، إني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومات العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، ويعينك عليها... فإذا قدم عليك العدو، فاستشره، وادع إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبي فالجزية، وإلا فالسيف، واتق لله فيما وليت،

(٦) في «الكامل» لابن الأثير.

وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك إمرتك، وقد صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً، وملكاً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيألفها من نعمة؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيدك بالله ونفسي من ذلك، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين. انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا، فسار غُتبة ومن معه، وأقام بالبصرة، ثم سار غُتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس، فاقتتل الفريقان. وقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم فكنا معهم، فاتخذن من خمهرن رايات، وسرن إلى المسلمين؛ فلما رأى المشركون الرايات، ظنوا أن مدداً للمسلمين قد أقبل، فانهزموا، وظفر بهم المسلمون!

## كشف وجه المرأة في الإحرام

قالت عائشة - رضي الله عنها<sup>(٧)</sup>: لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء، لمنعهن من المساجد. وسئل عقييل عن كشف المرأة وجهها في الإحرام، مع كثرة الفساد في زمانه: أهو أولى أم التغطية مع الفداء؟ فأجاب: بأن الكشف شعار إحرامها، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع.

(٧) في بدائع الفوائد.

وأما قول عائشة - رضي الله عنها - فإنها ردّت الأمر إلى صاحبه فقالت: لو علم لمنع، ولم تمنع هي وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح، وأجاز للشهود النظر، فليس ببدع أن يأمرها بالكشف، ويأمر الرجال بالغض ليكون أعظم للابتلاء.

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة، كما جاء النهي عن القفازين، وعن لبس القميص والسرراويل، ومعلوم أن نهيها عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة، بل قد أجمع الناس على أن المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء، وأسافله بالإزار.

ومن قال: إن وجه المحرمة ك رأس المحرم، فليس معه بذلك نص. وقول من قال من السلف: إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل، بل يلزمها اجتناب النقاب، فيكون وجهها كبدن الرجل.

وقد قالت عائشة - رضي الله عنها -: كنا إذا مر بنا الركبان سدلت إحدانا جليباها على وجهها، ولم تكن إحداهن تتخذ عودًا تجعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة، ولا أمهات المؤمنين البتة، لا عملاً ولا فتوى، ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام.

ومن أثر الإنصاف، وسلك سبيل العلم والعدل تبين له راجح المذاهب من مرجوحها، وفاسدها من صحيحها، والله الموفق الهادي.

## المرأة لعبت زوجها<sup>(٨)</sup>

البيضة المكنونة<sup>(٩)</sup> بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها، والصفرة التي تضرب فيها.  
قال ذو الرمة:

نجلاء في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب  
والمكنونة: المصونة، والنعامة تخفيها بريش، ولا تبديها للشمس والريح لتلا  
تتغير. وقال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ﴾.  
وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله  
عليه وسلم - أنه قال: "المرأة لعبت زوجها، فإن استطاع أحدكم أن يحسن  
لعبته فليفعل".  
والمداعبة: الممازحة، والمغازلة، تقول: غازلتني المرأة: إذا تماجنت  
عليك في كلامها، وأشارت لك بعينها، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت  
فيها صدت عنك... والمليحة الصورة: المستملحة، كالدمى والصور التي  
تلعب بها البنات ونحوها.

## مات زوجها فتزوجت !

يروى أن امرأة من مدينة «يشكر» اسمها «أم عقبة» كانت عند ابن  
عم لها يقال له «غسان»، وأنه سأها عما تصنع بعد موته، فقال:

(٨) في خزانة الأدب للبغدادي.

(٩) تكن رأسها: أي تخفيها كما هو مشهور عن النعامة غالباً.

أخبري بالذي تريدني بعدي      والذي تضميرين يا أم عقبه  
تحفظين من بعد موتي لما قد      كان مني من حسن خلق وصحبه  
أم تريدني ذا جمال ومال      وأنا في التراب في سجن غربه

فقلت له: والله لا أجيبك بكذب، ولأجعلنه آخر حظي منك، وأنشدته:

قد سمعت الذي وما قد      يا ابن عمي تخاف من أم عقبه  
سوف أبكيك ما حييت بنوح      ومراث أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول:

أنا والله واثق بك لكن      احتياطاً أخاف غدر النساء  
بعد موت الأزواج يا خير من عو      شر فارعي حقي لحسن الوفاء  
إني قد رجوت أن تحفظي العهد      سد فكوني إن مت عند الرجاء

ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات، فلم تمكث بعده قليلاً حتى  
خطبت من كل جانب، رغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة  
فيها، فقلت مجيبة لهم:

سأحفظ غسانا على بعد داره      ونزعناه حتى نلتقي يوم نحشر  
وإني لفي شغل عن الناس كلهم      فكفوا فما مثلي بمن مات يغدر  
سأبكي عليه ما حييت بدمعة      تجول على الخدين تهمي فتهمر

فلما تطاولت الأيام تناست عهده وقالت: من مات فقد فات.

فأجابت بعض خطابها فعقد عليها، فلما كانت الليلة التي أراد

الدخول بها آتاً في منامها فقال:

عقدت ولم ترعي لبعلك حرمة      ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي العهدا

ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب      حلفت له بتّا ولم تنجزي الوعدا  
غدرت به لما ثوى في ضريحه      كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب  
البيت، وأنكر ذلك من حضرها من نساءها، فأنشدتهن الأبيات، فأخذن  
معها في حديث لينسينها ما هي فيه، فغفلتهن وأخذت مدية، فلم يدركنها  
حتى ذبحت نفسها، فقالت امرأة منهن:

لله درك \_\_\_\_\_ اذا      لقيت من غسان لا خيرة النسوان  
قتلت نفسك حزنا      يا خيرة النسوان  
وفيت من بعد ما قد      هممت بالعصيان  
وذو المعالي غفور      لسقطة الإنسان  
إن الوفاء من الله      لم يزل بمكان

## وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى

قالت امرأة حاكية<sup>(١٠)</sup> كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً، فقيل لها:  
هذا الأمير قد جاء، فتنحيت، ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج  
من عندها رأيته وكأنما أوتي ملك سليمان.

ويقال: إن رملة بنت عبد الله - ضرة عائشة هذه - قالت لمولاة  
عائشة يوماً: أريني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم. فذكرت الجارية  
ذلك لعائشة، فقالت: أنا أتجرد لها ولا تعلميها أي عرفت، ثم قامت عائشة  
فتجردت كأنها تغتسل، وذهبت مولاتها إلى رملة ضرهما فأخبرتها، فأشرفت

(١٠) روضة الأعيان للتراجم ص ٤٣٨

عليها وتأمّلتها مقبلة ومدبرة وأعطت الجارية ألفي درهم، وقالت: وددت لو أني أعطيك أربعة آلاف درهم ولم أرها، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة.

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة نديته قائمة، دلالة على أنها لا تتزوج بعده.

روى الأصفهاني في كتابه «الأغاني» أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية استأذنت زوجها عبد الملك في الحج، فأذن لها وقال: ارفعي إلي حوائجك كلها، واستظهري فإن عائشة بنت طلحة تحج معك، فاستظهرت بكل ما تقدر عليه، وخرجت بهيئة حسنة قد اجتهدت فيها، فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة!

### القبلة وإباحتها<sup>(١)</sup>

قالت طائفة من العلماء: القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين، قالوا: لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس، والقبلة صغيرة، وهلاك النفس كبيرة، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر، ولا خطر أعظم من خطر النفس، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ...﴾،

(١) المنتخبات الشرعية رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧

والحديث الذي يقول: "يا رسول الله، إني لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح"، قال: "أصليت معنا؟" قال: "نعم". قال: "إن الله قد غفر لك". فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. رجع إلى المقاطيع:  
قال أبو الفرج الجوزي:

يا مانع القبله من خده      قيت قلبي فهو مفتوت  
لا تخش أنفاسي ولا حرها      فإعما خدك ياقوت

ولأبي الفضل بن أبي الوفا:

سألتها رشف ريق      مستعذب الطعم حلوي  
قالت: فصفه ارتجالا      فقلت: بعد الترووي

ولابن حجة:

وعاشق ألزم معشوقه قبله      في فيه فيها شفافه  
ولم يخف من جارحي لحظه      خطفا وقد باس ولم يخطفاه

ولابن العطار:

جمعت بالراح شملي      فالله يجمع شمك  
وكم يد لك عندي      دعني أقبل رجلك

ولآخر:

رأيت في مجلسي مليحا      يشبه بدر الدجى وأحسن  
سألته قبله بخد      فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر:

سألته قبلة ألد بها  
فقلت: لم سيدي؟ فجاوبني:  
فصد عني وقال سرورك  
عاقبة البوس حل سرورك

ولآخر في «مشروط على الخد»:

روحي مشروط على الخد أسمر  
فقال على اللثم اشترطنا فلا تزدد  
وف ودنا بعد التجنب والسخط  
فقبلته ألفا على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله:

قال الحبيب وقد شفت رضابه  
أفطرت؟ قلت: نعم رأيتك طالعا  
في يوم من رمضان لما زارا  
وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه:

قبلت مبسمه فقال تذلا  
أفطرت يا هذا، فقلت له ابتدا  
عند اللقاء له ونحن صيام  
ء الصوم مع رؤيا الهلال حرام

وقال آخر في الجناس:

إن كنت تألف بالحبيب وقربه  
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه  
فاصبر على جور الرقيب وداره  
ثواك في مشوى الحبيب وداره

### محاسن الخلق والخلق<sup>(١٢)</sup>

عن وهب بن منبه أنه قال: قال موسى عليه السلام: "أي رب، أي عبادك أحب إليك؟" قال: "من أذكر برؤيته". وقال وهب: قال داود: "يارب أي

(١٢) الجزء رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٩٨

عبادك أحب إليك؟" قال: "مؤمن حسن الصورة". قال: "أي عبادك أبغض إليك؟" قال: "كافر قبيح الصورة...".

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي - صلى الله عليه وسلم: "إن الله جميل يحب الجمال. رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وجماعة. وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة، يرفعه: "من آتاه الله وجهًا حسنًا، وخلقًا حسنًا، وجعله في موضع غير شائنٍ له، فهو من صفوة الله من خلقه".

وفي الصحيحين عن أبي بريدة قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر". وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه، حسن الاسم، وكان يقول: "إذا أبردتني إليّ بريدًا فليكن حسن الوجه، حسن الاسم". وفي مليح:

يا من وجهه بدت أنواره كالشمس عند طلوعها با أشرق  
لولا هواك لما جفا جفني الكرى ليلا، وبت بدمع عيني أشرق

وفي آخر:

شبهت بالبدر الحبيب فقال لي: لا به أثر الصباية لا يح  
لا وجهه للتشبيه، قلت: أما ترى وجه الحبيب؟ فقال: وجه واضح

وقال له:

وجهه يفوق الهلال حسنا ويحجل البدر إن تجلّى

يقول في الحال من رآه أشهد أن لا ملهى إلا

وقال آخر:

أحب من المردان كل مهفهف رشيق المثنى لم يسر في خدها الشعر  
فأما إذا ما الشعر في خده بدا فلا خير في اللذات من دونها الستر

وقال آخر:

أظهروا وجهك الملهي ثم لاموا من افتن  
لو أرادوا جنايتي حججوا وجهك الحسن

وقال آخر وأجاد:

يا من وهبت له روعي فعذبها ورمت تخليصها منه فلم أطق  
أدرك بقية نفس فيك قد بلغت قبل الممات فهذا آخر الرمق

ولابن الخطيب في «الحسن»:

الدر فوق جبينه يتوقد والماء في وجناهاست يتردد  
كتب الهوى بيد إليه يؤكد بالحسن فوق جبينه يا واحد

وله أيضاً:

جفون معذبي يملأه منى وإن وداده تكليف  
لكني لم أنا عنه لأنه خبر رواه الجفن وهو ضعيف

ولشهاب الدين بن ناصر الدين:

بي سقام من جفون قد جفوني لست أبرأ  
وعيون فاتكات من سيوف الهند أبرأ

ولآخر:

كأن مقتله صاد، وحاجبه  
فصرت أعبد منه في الهوى صنماً  
نون وموضع تقيلاته ميم  
وعابد الصنم الإنسي مخدوم

ولآخر في العيون:

يا من يشبه نرجسا بنواظر  
أين القياس لمن يصح قياسه  
دعج تنبه إن فهمك راقد  
بين العيون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك:

وظي إذا عاتبت ناعس طرفه  
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه  
يلد لطرفي في دجي الليل شاهده  
ولا تقتلوه إنني أنا عبده

ولآخر في العيون السود:

عيونك السود إن مدت سوافها  
وإن كان حبل الجفا سود معافها  
تحكم عليّ وما أقدر أخالفها  
في وسط قلبي بنا لناس معافها

ولآخر في ذلك:

كنت أشتهي بجيبي ألف ناقة سود  
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود  
وألف أخرى يكن جاهلها مسعود  
أسلم من الحرب تقتلني العيون السود

وفي من عينه زرقاء:

بعينه الزرقاء  
واعجبا أحبه  
في قلبي سهم منطلق  
وهو العدو الأزرق

وفي أحول:

قالوا شغلت بأحول فأجبتهم  
قد زدتموه والله في أوصافه

لا تحسبوا حولانته.. لكنه من زهره يرنو على أعطافه

وفي من بعينه رمد:

جاء الحبيب وعيناه بما رمد وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً  
والنار في مهجتي تصلي تصلي بها كبدي أسل سيفاً لقتلي في الهوى بيدي

وفي الوجنة الحمراء:

الطرف بعدك قد عادت مدامعه والقلب في الوجنة الحمراء يا سكاني  
فهل تأذن لطيف منك يطرقه كعابد النار يهواها وتحترقه

وفي مبتسم الثغر:

جاء بصبح ثغره مبتسماً قلت له: دمت لقلبي هكذا  
يمشي بليلى الشعر في دلال ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب:

قال الحبيب يقول ثغري إنه يا زيد خذ منه الحديث فإنه  
ذو قرقف داء الحجة دافع حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور:

وأحور طرقي حابر في جماله وعربينه أقى أشم وطرفه  
وقلبي، فقل لي ما الذي فيه أصنع كحيل، وخذاه من الورد أصبغ

وفي لجلجة كلام الحبوب:

عابوا التلجلج في كلام معذبي إن الذي ينسى الكلام لسانه  
فأجبتهم والعذر في بيان ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب:

لو عاينت عينك حسن معذبي  
عين الرشا، قد القنا، ردف النقا  
ما لمتني ولكنت أول من عذري  
شعر الدجى، شمس الضحى وجه القمر

ولابن مبارك:

يا أيها العشاق قد جاءكم  
أجيد إتلاف روح امرئ  
متميم يسأل كي يهتدي  
على مליح في الهوى أم ردي

وقال آخر في من بيده مديّة:

وشادن في يده مديّة  
ما كان محتاجا إلى حملها  
جردها للفتك من غمدها  
فلحظه أقطع من حدها

ولأبي نواس في أحور ساحر العينين:

ويلي على أحور ممكور  
تختاره الحور علينا كما  
وساحر العينين مسحور  
تختاره نحن على الحور

وفي من يبكي!:

يا قمرا أبصرت في مآتم  
لا تبك للميت يا سيدي  
يندب شجوا بين أثواب  
وابك قليلا لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة:

وإذا أراد بأن يتره طرفه  
فكأنه وكأنها في كفه  
أخذ المرأة بكفه فتفرجا  
شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس:

قالت لقوَّاس له طلعة  
يا من له وجه كبدر الدجى  
من رام عنها الصبر لم يقدر  
بكم تبيع القوس للمشتري؟

وللأزميري في رام:

بأبي وأمي رامياً يسبي الحشا  
لما أراد إطلق سهم رامياً  
بلواحظ تسطو على العشاق  
زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً:

رمى عن قوسه في الطير سهمها  
وفوق نحو قلبي سهم طرف  
على عجلٍ ولم يهمل رويدا  
فلم يخطي بسهميه السويدا

وفي رمال:

وضارب بالرمل من حسنه  
كأن من أبداع في خلقه  
يزدحم الناس على رمله  
قد خلق العشاق من أجله  
وما يريدون سوى شكله  
مستخرج في الرمل أشكال

ولابن الورديّ في ذلك:

حكى القضيبي والقنا  
وقال وصلي غفلة  
بالرمل والأنامل  
إلا بفض داخمل

وقال في منجم:

ورب منجم قد صد عني  
فقلت عساك ترجع عن قريب  
ولي أبداً بطلعته ولوع  
فقال الشمس ليس رجوع

ولابن المزين في تاجر:

وتاجر شاهدت عشاقه      قال على ما اقتتلوا هكذا  
والحرب فيما بينهم تسابير      قلت على عينك يا تاجر

ولالأزميري في تاجر أيضاً:

وتاجر يمنح عشاقه      ما ردّ يوماً زائراً  
مالا ووصلا ليرى نادره      لأنه متسع الدابره

وله في شاعر:

لا تعذلوني إذا عشقت شاعراً      في فيه نظم الدرّ يا رفاقي  
فهو البديع حسنه لكنه      يميل للترصيع في الطباقي

ولآخر في الخد:

بدا في الخد عارضه فأضحى      عليه مفيض باللوم يغري  
وحلول أن يرى مني سلواً      فقال: لقد تعذر. قلت: صبري

ولآخر .. اقتباس في من في خده عذار:

رأيت في خده عذراً      خلعت في حبه عذاري  
قد كتب الحسن فيه سطرأ      ويولج الليل في النهار

ولابن المعتز في ذمه وهجره:

يا رب إن لم يكن في وصله طمع      ولم يكن قدح من طول هجرته  
فاشف السقام الذي في جفن مقتله      واستر محاسن خديه بلحيته

وله أيضاً عفا الله عنه:

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن  
وكان يعرض عني حين أبصره  
وقد تعفت معاني وجهك الحسن  
فصرت أعرض عنه حين يبصرني

وقال آخر:

لما التحى ومحا الإله جماله  
كتب الزمان بخطه في خده  
وكساه ثوب مذلة ونفاق  
هذا جزاء معذب العشاق

وقال آخر:

غدا أسوداً بالشعر أبيض وجهه  
على وجهه أضحي بخطي عذاره  
فأصبح من بعد التنعيم في ضنك  
تناديهما عيناه حزن: قفا نيك

ولآخر.. اقتباس:

قتل الناس باللواظ حتى  
طلعت ذقنه وعيناه كلت  
أهـب الله حسنه والجمالا  
وكفى الله المؤمن القتالا

وآخر... مثله:

لما بدا في خده عارض  
وقلت غدا عارض ممطر  
بشرت قلبي بالسلو المقيم  
فجاءني منه عذاب أليم

وقال آخر أيضاً:

قلت لما تشركت عارضاه  
إيش هذا فقال لي في جواي  
وأباد السواد ضوء هماره  
كل من مات سوّدوا داره

ولابن نباتة:

وأمررد مقتته ربه  
أرسله الله لنا آية  
بدّله بعض الضيا بالظلم  
ليعلموا كيف زوال النعم

وله أيضاً رحمه الله:

دارت عذار حبيبي  
فيا له حسن وجهه  
حتى غدا وهو حابير  
دارت عليه الدواير

وقال آخر:

وخلصني من يدي عشقه  
كنست فؤادي من حسنه  
ظلام على خده حنوسه  
ولحيتيه كانت المكنسه

وقال آخر والله در قائله:

ما فعل الله باليهودي  
ولا بفرعون من عصاه  
ولا بعناد ولا ثمود  
ما فعل الشعر بالخدود

## ما قيل في الأسماء<sup>(١٣)</sup>

في محمد بن عربي:

أحمد عساك تشهد لي  
فقت الملاح فأنت خاتمها  
أني قتييل عيونك التجل  
وكذا سميك خاتم الرسل

(١٣) الجزء مجموع في الشعر مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور ص ١١١

وفيه أيضاً:

قالوا تشفع بالجمال  
فأجبت إني مسلم  
ولو تثبت كان أجود  
أرجو الشفاعة من محمد

ولابن العفيف:

أيها المودّع قلبي  
كيف تستاهل ناراً  
نار وجد تتوقّد  
مهجّة تهوى محمد

وفي أحمد:

قد غدا أحمد لي ما أجود  
وإن يعد يرضى لعشاقه  
وكان بالوصل لنا ينجد  
فالوصل يا أحمد لي أحمد

وفيه أيضاً:

مذ وفا أحمد وعدي  
فأننا في كل حال  
ولهيب الشوق أحمد  
أشكر الله وأحمد

آخر والله در قائله:

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة  
قالوا فمن شئت تحب؟ فأجبتهم  
أطفي بناري التي لا تخمد  
غصن النقا بدر الدجى يا أحمد

وفي أبي بكر:

تعشقت طيباً فاتن اللحظ فاترا  
فلا تنكروا وجدي فإني محمد  
أبو بكر يدعى خليفة طلعة البدر  
وإني من أولى الورى بأبي بكر

وفيه أيضاً:

بروحي أبا بكر فديت ومهجتي      مليحاً ببدر التّمّ في أفقه يذري  
له طلعة كالبدر والغصن قدّه      وناظر من بابل جاء بالسحر

وللحجازي فيه أيضاً:

بمدح أبي بكر سموت فيا له      مليح أرانا وجهه صورة البدر  
ولا بدع إذ بالغت في مدحه إذا      فأحمد من أولى الورى بأبي بكر

ولشهاب الدين التلميح، وأنشده لنفسه:

من حبيبي ووفيا      وعداً له وحققه  
ولا عجيّباً من أبي بكر      الوفا ما صدقه

وفي عمر:

ما عليهم في الهوى إذ نظروا      حين سموك وقالوا: عمر  
أبدلوا قافك عينا غلطا      أخطأوا ما أنت إلا قمر

وفي عثمان:

وافي إليّ بشمعتين ووجهه      بضياته يزهو على القمرين  
ناديت ما الاسم؟ يا كلّ المنى      فأجابني عثمان ذو النورين

لغز في عثمان:

يا أيها العارف في فنه      ومعي الفهم وعلم البيان

ما قولكم في أحرف خمسة إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفي علي:

قال العذول منذ رأى  
بمن فتنت في الورى؟  
قلبي به في شغل  
فقلت دعني بعلي

وله عفا الله عنه:

بعلي قد همت ما بين الورى  
وإذا ما غاب عني شخصه  
وبه قلبي المعنى قد بلي  
صاح قلبي وحشة يا لعلي

ولابن حجر الحافظ رحمه الله:

قلت: هل لي من دوا  
قالوا سلوى كل حب  
قد غدا قلبي عليلا  
قلت إلا عن علي لا

وللحجازي في عبد العزيز:

إن عبد العزيز قد جاء نحوي  
في هواه حقاً لقد طاب ذلي  
شرح حالي أغنى عن التمييز  
حيث أصبحت عبد عبد العزيز

ولالأزهري في عبد القادر:

حي عبد القادر الذي له  
وكيف لا أريده بين الورى  
بمجة حسن والورى عبيده  
والله يدري أنني أريده

لغز في عبد الله:

اسم من أهواه يا سيدي      فيه من العنبر حرفان  
وأخو الورد تمام اسمه      وواحد ليس له ثان

وفي عبد القوي:

عبد القوي سباني      بقده السمهي  
وصرت عبداً ضعيفاً      في حب عبد القوي

وفي عبد اللطيف:

فتنت بعبد الليف الذي      فطانتة أسكنته الفؤاد  
ولا عجب إن بدا لطفه      فعبد اللطيف لطيف العباد

وفي عبد الحفيظ:

عبد الحفيظ الندي      قد أنجح الله قصده  
لا تخشى من ضياع      فالله يحفظ عبده

وفي محمود:

يقول لي منكر حالي به      من لك في ذا الحني مقصود  
فقلت لا تسل بحق الهوى      عنه فقصدي فيه محمود

وفيه يهجو:

ما كنت أحسب أني أجي إلى زمن      يسبني فيه كلب وهو محمود

وفي إبراهيم:

عجبت النار في قلبي كيف تبقى  
فيا نيرانه كوني سلاما  
حرارتها وحبك تحتويه  
وبرداً إن إبراهيم فيه

وفيه أيضاً:

لا زال بابك بالمكارم كعبة  
حتى يقول القاصدون بأمرهم  
فترى بها للواردين رسوم  
هذا المقام وأنت إبراهيم

ولابن نباتة في خليل:

يغيب خليل الحسن عني ليلة  
وكيف يطيب العيش عندي والكرى  
فأسأم من ليل طويل أراقبه  
وليس إلى جنبي خليلاً ألاعبه

ولعز الدين الموصلبي:

قال حبي خليل غيرت ودي  
بعد عشق الملاح صرت تقياً  
وتركت الفؤاد مني عليلاً  
ما تراعي من الأنام خليلاً

وقال في يعقوب:

يعقوب إني يوسف قد تركتني  
وأصبحت مخذولاً وقد كنت ناصراً  
من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفاً  
وكنت مليكاً صرت عبداً مكلفاً

ولابن الحياط فيه أيضاً:

رأيت أني في الكرى لائماً  
يوسف أنبيناً بتأويله  
مبسمك الشافي آلامي  
فقال هي أضغاث أحلامي

لغز فيه .. وأجاد:

يا سائلي عن اسم من أجبته  
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى  
إني بمن أهواه غير مصرح  
معكوس سابع كلمة في سبّح

وفي موسى:

رأيت في حلق غزالا  
فقلت ما الاسم قال موسى  
تخبر في وصفه العيون  
فقلت هنا تحلق الذقون

وفي عيسى:

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ  
عيسى بن مريم كان يحيي من يرى  
أحشاؤه قد أحرقت لهاكا  
وقميت أنت الحي حين يراكا

في داود:

وثقت بأن قلبي من حديد  
فإن على هواك ولا عجيب  
وفيه على الهوى بأس شديد  
إذا داود لأن لله الحديد

وفيه أيضاً:

أمسى يقرّ بحسنه بدر الدجى  
فإذا بدا فكأتما هو يوسف  
وغداً يذوب بحسنه الجلمود  
وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان:

له وجنة تدمى من اللحظ رقة  
فهذا سايمان لرقه خده  
يكاد بهما ماء الشبية ينهل  
إذا دبّ فيه النمل كلمه النمل

في خضر:

مهفهف طلعتَه ليس بها  
يجري لنا ماء الحياة وثغره  
ومناظره وقده غصن نضر  
لا تعجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب:

دموعي ربيع والرقاد محرم  
وفي القلب من شعبان نيران نصفه  
على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب  
فجد لي بما أرجو من الوصل يا رجب

في شعبان:

شعبان قد أمسى يهز معاطفا  
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة  
أبدت حلاوة خصره مع ردفه  
شعبان كل حلاوة في نصفه

علي بن سودون في بركات:

رشأ يصيد الأسد في اللفات  
الوجه منه مبارك فإذا بدا  
قد صاد كل فتى وكل فتاة  
لا تيأسن يا قلب من بركات

ابن القيصرائي في منصور:

يا قمر الوصل في جنة  
كم حاربتك الشمس في حسنها  
ما سكنت ولدانها الحور  
وأنت يا منصور منصور

النواجي في نجم:

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني  
حتى رماني في نيران مهجته  
من وصله كل ما أهوى وأختار  
فصحّ عندي أن النجم غرار

وله في سعد:

أنا قد همت بسعد  
فأطرح نصحي ودعني  
وتفانيت بوجهه  
إنما المرء بسعده

وله في سعيد:

سموا مني مهجتي سعيدا  
إذا اجتمعنا يقول صدري  
ولي شقاء به يزيد  
هكذا شقيُّ وذا سعيد

وله في قاسم:

شكوت له حالي وفرط صابتي  
وقال استعرت صبري وكن متأسيا  
فتاه دلالا وانثني وهو باسم  
فنحن قسمنا وارض بالحب قاسم

ابن العطار في يحيى:

أيمكن سلوتي يحيى؟ وروحي  
وقلبي يشتهي اكتباي  
تكابد في هواه عليه أشيا  
ويرضى أن أموت بحب يحيى

وله في هاشم:

في هاشم قلبي بدا دايبا  
وكسر قلبي صحّ في عشقه  
من لحظه الفاتك بالعالم  
لقلّة الإنصاف في هاشم

وله في عامر:

حبيبي يدعى في الأنام بعامر  
يهدد قلبي بالصدود وبالخفا  
وأول عشقي ليس فيه آخر  
على أنّ فيه منزل الشوق عامر

وله في فرج:

وليس لي مخلص أرجو النجاة به  
لكن أضمن بيت القائل بن رجا  
من الغامر فقد ضاقت بي الحجج  
كل الأمور وإن ضاقت لها فرج

آخر:

يا لائمي في رشيقي القدم معتدل  
أشكو الشدائد من وجد أكابده  
انظر فإن غرامي غير ذي عوج  
ولست أياس في شكواي من فرج

للحجاج في أمير حاج:

مننت بزورة للعيد يوما  
وأما إن دعيت أمير حاج  
لك الرحمن بالحسنى يجازي  
فلا بدع بجبك للحجاجي

ولابن نباتة في عماد:

قالوا العماد مליح  
بحسنه قلت قصدي  
أسبي جميع العباد  
أنظرت لذات العماد

لعز الدين الموصلبي في جرادة:

لقبوه جرادة وهو ظبي  
صدته فامتلاً فؤادي شحما  
فاق حسنا ولم أعره شهاده  
لا تقولوا بأن صيدي جراده

لابن نباتة في إياس:

أفدي مليحا في البريال لم أزل  
قالوا أنقطعه كبيرا قلت من  
طول الزمان عليه في وسواس  
راحات قلب المرء قطع إياس

لغز في إسماعيل:

اسم من قد هويت ستّ حروف  
عيل صبري تمام اسم حبيبي  
نصفها ما تبديت فاستفهموها  
ما على العالمين لو فهموها

لابن الصايغ في حسن:

إن الحسود عندما  
وقال لا بدع إذا  
عين ذا الحسن افتنن  
أتى عليّ بالحسن

وفي حسين:

حسين سباتي حسنه ولحاظه  
رماني بسهم اللحظ قلت له: اتعد  
وقامته كالخيزرانة تنثني  
سميك مقتول وأنت قتلتني

وفي بدر:

سموه بدرا وذاك لما  
وأجمع الناس إذ رأوه  
أن فاق في حسنه وعمّا  
بأنه اسم على مسمّى

وفي كمال الدين:

ديني تكمل مذ جعلتم قبلتي  
وغدوت أنشد في البرية كلها  
وسجدت في أعقابكم مجبيني  
ما الفخر إلا في كمال الدين

في عز الدين:

مولاي عز الدين ييا من غدا  
بكم حقيقا حسنت حالي  
مادحه ما زال في عز  
والذل قد بدل بالعزّ

## في تاج الدين:

جواهر لفظ لم ينلني تاجر  
وفي التاج أهبى ما يكون الجواهر  
ببائك تاج الدين قد جئت مهديا  
فزادت بهاء من عطائك سيدي

## الشهاب الصائم في محب الدين:

ضعف القلب وشئتاً  
يا محب الدين بتاً  
في ملاح لك شتى  
كل ليالٍ مع غزال

## في شرف الدين يهجو، وأجاد:

يرجّون السيادة  
وهو شرٌّ وزيادة  
لقبوه شرف الدين  
كيف يرجى منه خير

## وفي زيتون يهجو فيه:

لو أنصفوك سموك زعرورا  
وأنت لا زيت ولا نورا  
سموك زيتونا فما أنصفوا  
لأن للزيتون زيتا يضي

## في يونس:

حكى البدر وجهاً قلت: بل هو أملس  
ولو لم يكن بدرًا لما كان يونس  
وقالوا حبيب القلب بدر وقدّه  
فلو لم يكن غصنًا لما كان مائلًا

## آخر، وأجاد:

له مقلّة سوداء والخذ أطلّس  
فيوحشني والحب في القلب يونس  
شغفت بفتان اللواظ أهيف  
فإن غاب عني تصورت شخصه

في مقبل:

يا من تحجب عن محب صادق  
ما زال عنه كل يوم يسأل  
من لي بيوم فيه يسمح باللقا  
ويقال لي هذا حبيبك مقبل

في شاهين:

يا من تسمى بشاهين وسميته  
خطف القلوب وبالألحاظ شاهينا  
قد اشتهيناك بالشاهين لأنفساً  
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا

في عنبر:

مذ رأني عنبر حبيبي  
وعرف رياه قد تعطير  
أرشفني من لياه حمراً  
وشاقي من شذاه عنبر

في بشير:

بشير سباً مهجتي  
وجا كيدر منير  
وقد جاد لي بالرضا  
وللواصل وافي بشير

في سنبل:

يقولون لي إذا زار في الحب سنبل  
وقد فاق رياء نشره كل مندل  
أهذا شذا مسك توضع نشره  
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور:

مذ زار كافورنا البديع سنا  
ووجهه حفاً من سنا النور  
شاهدت من خاله بوجنته  
نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور:

يقولون لي مسرور وافاك زائراً  
وقد بت بالصباة ماسورا  
فقلت لهم قد زال همي بوصله  
وقلبي به في الحب أصبح مسورا

في ريحان، والله درّه:

فدیت ريحان صبا بالجوى  
وبعد قلبي شفه الأشحان  
لما رنا بلحاظه من نرجس  
وبدا يعارض خده ريحان

في صبيح، وأجاد:

أرى صبيح مهجتي قد سبي  
وصير الدمع بخدّ يسح  
فكيف لي بالصبر عن حبه  
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك:

مبارك ياعذولي  
أطلت فيه مقالك  
لو زارني كنت أحظى  
منه بكعب مبارك

في فرج:

يا قلب إذا أتاني فرج  
وربما تبلغ المواد وكم  
عسك بالوصل منه تبتهج  
قد جاء عند الضيق الفرج

## ما قيل في المهن والحرف

في إسكاف:

رب إسكافي مليح حسنه  
ذاب قلبي منه صداً وجفا

قال ما عندي سوى هذا الشفا      كلما أشطو إليه سقمي

في بخانقي:

ولم يرض ببدر التم نايب      تسلطن في الملاح بخانقي  
وأصبح موكبًا تحت العصايب      وصف له من الأتراك جنديًا

في حباك:

صاد قلبي منه بالشرك      يا مليحًا مهذب مقلته  
قلت هذا البدر في الحبك      مذ رأيت الحبك صنعته

عز الدين الموصللي، في حجام:

من شاق ساقينا ياشفاق      وحاجم في الكاس أجرى دمًا  
فحكّم الكاس على الساق      لكنه خالف في شرطه

في حريري:

شبيه الغصن والبدر المنير      حريري يبيع الحسن لکن  
لثوب السقم من هذا الحريري      كسى جسمي السقام ولا عجيب

وما أحسن من قال ما ينسج على تكة ... وأجاد:

فأوق خصر مستدير      أنا قفل من حريري...  
عند أوقات السرور      أنا لا أفصح إلا...

وقال في حداد، وأجاد:

له طلعة في الحسن تعلو وتشمخ      تعشت حدادًا بديع ملاحه

إذا رمت بالتطريق وصلًا بقربه

أراه ستر الغيظ ثم ينفخ

في حلاوي:

ريق الحلاوي أحلى من حلاوته  
والدمع سكب وأحشائي تقوضه

في خصره دنف والردف منقوش  
والخد مني بماء الدمع مرشوش

لابن الوردي فيه أيضًا:

الحلاوي قال لي  
سهم عيني مسبر

أنا للحسن معمدن  
وعدوي مكفن

وللصفدي فيه أيضًا:

إن هذا الصبي الحلاوي أضحي  
لا تعارضه في هواه بشكوى

يتجنى على الكتيب ويحقد  
دعه في دسسته يحل ويعقد

في حوايجي:

حوايجي أتيت أسأله  
في عنقي دمل به ورم

قلت له يا أخوا الرضا صف لي  
قال يداوى بمرهم النخل

لابن الوردي في خياط:

لما أتى والمقص في يده..  
فققال وصلا يعوز قلت له

وفصل العاتقين والبدنا  
العايز الوصل يا مليح

وأيضًا فيه:

مررت بخياط حكي البدر طلعة  
يقد ويفري الثوب يم يخطه

وشاكل غصن البان لما انثنى قدا  
فلم ثوب قلبي لا يخاط وقد قدا

وللازميري فيه أيضاً:

لله خياط إذا سأته  
وإن شكوت غمّي لردفه  
وصلا أراه جا بالمطوب  
فرجها بالوصل والركوب

في ذهبي:

عشقتة ذهبيّ اللون طلعتة  
إن ملت طبعاً إليه ذا عجب  
أبهي من البدر بل أبهى من الشهب  
فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً:

إلى الذهبي صبا قلبي  
ألم ترني على شغفي  
وكم يدعوه للعطب  
أحب الرضع في الذهب

وفي راشد:

أقول لراشدي لما تبدى  
بحسن جمالك الحسن المفدى  
عساه يكون لي بالوصل ناجد  
إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام:

هويت رساما كبدردجي  
قلت له صلي ولو ساعة  
وثغر كالدرد إذا تبسم  
ثال: بكم؟ قلت: بما ترسم

وفي رفا:

يارافيا قطع كل ثوب  
عسى بخيط الوصال ترفي  
يا بغية النفس يا مرادي  
ما فرق الهجر من فؤادي

وللصفدي فيه أيضاً:

ورقَاء له وجه مليح      محاسنه البديعة ليس تخفى  
شغلت به الفؤاد ولا زمأنا      أرى ثوب الفؤاد يعد زرفا

في بيع ريحان:

يا صاح ريحاننا قد زارني      وبكاس فيه لما سقاني  
لما نظرت إلى شقايق خده      سلب الفؤاد عذاره الريحان

وللصفدي في سكرى:

سبتي صفات السكرى الذي له      بضاعته حتى عدت قراري  
مكرر لفظ في سنينات مبسم      وأحمر خدّ في نبات عذار

ولابن العربي ... في مليح يسي الفؤاد:

وظبي يطرق بمرآته      فيسي فؤادي من لطفه  
وهيهات أن أرتجي من هواه      خلاصاً ودفني في كفه

ولبدر الدماميني في سبّاك:

سبّاك تبر وفضة صنعته      نواه قلبي فسره إذ ذاك  
قلت له سبني أنا وأخي      قال نعم مذ عشقت سبّاك

وقال آخر، وأجاد في سروجي:

فنتت به شروجياً بديعا      به قد ذبت وجداً من ضجيج  
إذا جذب الغرام له عناني      يلذّ لي الركوب على السروج

في سقا:

لله سقا لله طلعة  
أروم أن يسكب لي قربة  
لكل حين قد غدا راويه  
وعبرتي من صبوتي راويه

وللازميري فيه أيضاً:

عشقت سقا كالزلال رضابه  
يروى المبرد عن لماه كاملا  
فكأنه من حمر فيه انتشا  
وإليه قلبي لم يزل متعطشا

ولشيخ الشيوخ بحماسة في شرابي:

سألته من ريقه شربة  
فقال أخشى يا شديد الظما  
أطفئ بها كبدي جمره  
أن تتبع الشربة بالحسره

ولابن الصايغ في شماع:

نظرت إليه شماعا مليحا  
له خد جمر لا لهيب  
جميع الحسن منسوب إليه  
يذوب الشمع من أسف عليه

مواليا في صابوني:

حيث أهيف رقيق الخصر صابوني  
والله لو فتشوا قلبي لصابوني  
لما هجر قلت عين الناس صابوني  
ما خلت عنه ولو بالنبل صابوني

ولبدر الدين الدماميني في صايغ:

وصايغ شادن هام الفؤاد به  
يا ليتني كنت منفاخا على فمه  
وحبه في صميم القلب قد رسا  
حتى أقبل فاه كلما نفخا

وله أيضاً في طيب:

طيب يحاكي الغصن في حركاته  
عجبا له يبري السقام بلطفه  
أصيرّ روحي في هواه سبيلا  
وبطرفه يدعى السقام عليلا

وله في طحان:

لله طحان تبنى وجهه  
وجناته ماء ولكن قلبه  
قمرًا له قمر السماء رقيق  
حجر وأما حصره فدقيق

وله أيضاً في عطار:

قلت لطار به صبوتي  
أسقيني كأس غرامي به  
محمودة والصبر لا يستطاب  
ذبت ومن فيك براني الشراب

وفي مليح جالس عند عطار:

وعطار مررت عليه يوماً  
فقلت له أعنك ماء ورد؟  
وجدت بجنبه ظيًّا رماني  
فقال: نعم، وعندي ما لساني

ولابن الفرس، وأجاد في عوام:

يا حسن عوام كغصن النقا  
ويقنع العشاق منه بأن  
يخجل بالوصل لمن هاماً  
يـريهم الأرداف إن عاماً

وقال آخره، وأجاد في فاخران:

سباني فاخران بديع حسن  
فهمت من الغرام له بـجبّ  
رمى في القلب بالبحران جمره  
وقصدي منه أن أحظى بجرّه

وفي قباني:

أشرت إلى الحبيب وقد تبتدى      بقبان ودمع العين سايل  
فدل بحسنه تيهها ونادى      إشارات المحب لها دلايل

وللسيد محمد رضوان الرعاد في قصاص:

أشكو إلى الله قصاصا يجرعني      بالصد والهجر أنواعاً من القصص  
إن تحسن القص يمناه فمقلته      أيضاً تقصُّ علينا أحسن القصص

في بايع الكتان:

ربح محب لم يزل قلبه      من بايع الكتان من ربط  
من طلب التسريح من حبه      سرّحه لكن على المشط

ولابن الوردي في كفتي:

لي كفتي ضبابي حسنه      لا أرى من محبة لي مخرجاً  
مذ تبتدى في حديد فحكى      قمراً طرز بالبدر الدجى

ولابن العفيف في كواني:

اسم حبيبي وما يعاني      قد أظهر الوعتي ولي  
قالوا علي فقلت قد      قالوا كواني فقلت قلبي

وقال آخر في مليح مكحول:

يا أيها الرشأ المكحول ناظره      بالسحر حسبك قدأحرق أحشائي  
إن انغماسك في التيار حقق أن      الشمس تغرب في عين من الماء

ولابن الوردى في مزين:

بأبي شادن تملك روحي  
مسك الكلبتين قلت عجيب  
بجيين وتحتته مقلتان  
من غزال بكفه كلبتان

ولأبي الفضل بن أبي الوفا في مجبر:

أحبت من بين الأنام مجبرا  
ناديته قلبي كسير بالجوى  
حسن الشمائل شبه ظبي أحوري  
فاسمح وكن بالوصل منك مجبري

ولابن الوردى في مهاميزي:

صباح هذا المهاميزي عارضه  
وجاد بالوصل لي يوما رفست على  
بالحسن أصبح أرقم وتطريزي  
أكباد من لام فيه بالمهاميزي

ولآخر لبائع الفخار:

ببائع الفخار بدر  
ما الذي تبغيه متي  
قال للعاشق جهره  
قال قصدي ألف جره

وفي ملالي:

ملالي العراق نوى حجازا  
إذا سألوا وداعا لم يجبهم  
به العشاق وجدا قد أمالا  
بلا إيه ولا نعم ولا لا

وقال ابن عربي في ناتف:

وقالوداع المحبوب واهجره دائما  
أينتف من أجلي ويتعب نفسه  
ألم تره بعد الملاحاة ينتف  
وأهجره تالله ما أنت منصف

## ولابن الوردى في نطاع:

هويت نطاعا إذا جيته  
أروم أن أحظى بوصل وقد  
بادرنى باللحظ والصفع  
قابلى بالسيف والنطع

## وللسراج الوراق في وراق:

يا حسن وراق أي خده  
تميس في الدكان أعطافه  
قد راق في التقبيل عندي ورق  
ما أحسن الأغصان بين الروق

## وقال ابن حبيب فيه أيضاً:

فتنت بحسن وراق نفور  
صقيل الوجه كم ذرح لديه  
بقلب الصب نار البحر أصلا  
ويغضب إن طلبنا منه وصلا

## وللسيد محمد رضوان الرعاد في وقاد:

أحييت وقادا كبدر طالع  
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل  
أنزلته برضى الغرام فؤادي  
إن ملت نحو الكوكب الوقاد

## وللصفدي في قطان:

قطاننا مهفهف  
ناديت من وجدي به  
تعتله أردافه  
يا ليتني ندافه

## وله في بيع مرسين:

يا صاع مرسينا لو زارني  
يومًا لكان بوصله يشفيني

لما نظرت إلى رياض حدوده سلب الفؤاد عذاره المرسيين

وله في بيع نرجس:

بالروح أفدي فوجيا خدّه ورد وآس عذاره كالسندس  
لما دنا ونظرت روض جماله نزّهت طرفي في عيون النرجس

وله في بيع بنفسج:

سببا بنفسسجنا بحسنه قلبي الشجي  
لما بدا في خده عذاره البنفسجي

وله في بيع تفاح:

لله من بيع تفاح إذا غلبي بحسن جبينه الوضاح  
لما نظرت لحسن نرجس كفه هام الفؤاد بخده التفاح

وله في بيع سفرجل:

لله من سفرجلي شاقني بغنج طرف بابليّ أكحل  
حيا بكاس الراس مع القرنفل ما أحسن الراح مع السفرجل

وله في بيع الورد:

لله وردّ نبا البديع سنا وما جرى في الثغر من شهد  
لما تأملت روض وجنته تيم قلبي بخده الورد

## عداوة النساء



## طاعتهن تردي العقلاء وتذل الأعراء

ذم بعض الحكماء من القدماء جماعة النساء، فقال: هن نار توهج، وسلّم إلى كل بلاء، وهن مثل شجرة الدفلي، لها رونق وبها ثمر، إذا أكله البعير آذاه، وقد يودي به.

ومن أمثالهم: طاعة النساء تردي العقلاء، وتذل الأعراء .. ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تتزين وتنعطر، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها، وزاد جمالها، فقال لمن حوله: إنما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت، واشتد حرُّها، وضاعت للناس، فهي حسنة المنظر، تحرق من دنا منها. وقال بعض الحكماء: الكيس من لم تضطره النساء. وقال أيضاً: من كانت لذته في النساء وقع في أعظم البلاء.

وقال: من أراد أن يعيش عيشة رغد، ويجيا حياة بلا نكد، فلا يشغل فكره بشهوة النساء، ولا يومئ إليهن بطرفه ولا بيده. وقال حكيم: كل أسير يفتك إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك، وكل مالك يملك إلا مالك النساء فإنه مملوك، وما استرعين شيئاً قط إلا وضاع، ولا استؤمن على سرٍّ إلا ذاع، ولا أطقن شراً فقصرن عنه، ولا حوين خيراً فأبقين منه، فقليل له: كيف تدمهن، ولولاهن لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء؟! فقال: مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء، لا

يلامسها جسد إلا اشتكى، وحملها مع ذلك الرطب الطيب الجني.  
والسلاء: جمع سلاة وهي شوك النخل.

وروى فيهن: أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار، وأنهن يسرعن اللعن، ويكثرن الطعن. وفي الحديث: أنهن يكفرن العشير، وينكرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأيت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط!  
وقال لقمان: استعذ بالله من شرار النساء، وكن من خيارهن على حذر.

وقيل لبقرات: أي السباع أحسن صورة؟ فقال: النساء.  
ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها، فقال: قد ذهب نصف الشر.  
ورأى البحر قد حمل امرأة، فقال: شر يجني شراً. ورأى رأس امرأة على شجرة فقال: ليت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر.  
ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس، وقد زين داره وزوقها، وكتب على الباب: «لا يدخل علي من هذا الباب شيء من الشر»، فقالت له: «فامراتك من أين تدخل؟»  
وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال هن:  
"اسكتن، فإنما أنتن لعب، إذا فرغ لكن، لعب بكن".  
وقيل: إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربنه، فقال لأصحابه: كفوا عنهن، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر، وإن غلبنا فهي الفضيحة الباقي مع الدهر.

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال، وأن أزواجهن يسكن ناحية منهن، فمتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها فقضى مدة عندها وانصرف، فإذا ولدت ولدًا ربهته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه، وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى يبس لئلا يمنعها الطعن بالرمح، وتركت الآخر الأيسر لترضع به ولدها، ومع هذا فلا تؤمن صحبتهن، ولكن لا بد من الأدب في ذلك.

قال عمر - رضي الله عنه -: "عودوا نساءكم - لا، فإن - نعم — تجريهن على الألسنة". وفي الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «شاوروهن وخالفوهن»، وقال علي - رضي الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية: إياك يا بني ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى الأفن، وعزمهن إلى الواهن، واكفف عليهن من أنصارهن بحجبك إياهن، وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل، ولا تطل الجلوس معهن فيهلكنك وتملّهن، واستبق من نفسك بقية".

وقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: "كمل من الرجال كثير، ولم تكمل من النساء إلا امرأتان: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران".

وخاطب النبي عليه - صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهن: "إنكن إذا جعتن دقعتن، وإذا شبعتن أشرتن"، وفي بعض الروايات ورد بدلًا من لفظ (أشرتن: حجلتن) ومعنى (دقعتن: خضعتن ولصقتن بالدقعاء، وهي غبرة التراب، ويقال: فقر مدقع، أي ملصق بالدقعاء. وقالوا: رماه الله بالدوقعة، وهي الفقر والذل، وجوع ديقوع: أي شديد.

وقال النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام - في النساء: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"، وفي الشهاب: النساء حبائل الشيطان. وقال سعيد بن المسيب - رحمه الله - : ما أيسر الشيطان منشيئ إلا أتاه من قبل النساء. وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهب بصره: ما شيء أخوف عندي من النساء. وقال بعضهم في هذا المعنى:

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| أضر شيء على الإنسان شهوته      | تلك التي أوردته لُجّة النكد      |
| إن الفضول لعمر الله أدخله      | في أن يكابد همّ الأهل والولد     |
| يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه   | كل بشهوته فليعط أو... يَعِدِ     |
| فاضطره الحال أن يسعى ليرضيه    | فطل من بلد يسري إلى بلد          |
| كأنه حجر يرمي به نزق           | من ها هنا لهذا، أو من يدٍ ليد    |
| ما همم الدهر إلا ما يؤلفه      | وما يجمعه من جيد وردى            |
| وما يبالي حراماً منه ذاك أتى   | فعل امرئ ليس في الأخرى بمعتقد    |
| حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من  | تلك النهاويش بعد الأين والجهد    |
| أمسى يفرقها فيهم ونيتيه        | في كسب أخرى كذا دأباً بلا أمد    |
| وربما أسخط المسكين خالقه       | إذ ليس في فعله هذا بمقتصد بالمكر |
| الفرض ضيعه، والدين أتلّفه      | والغش، ثم الغل والحسد            |
| وكل ذلك من أجل النساء فلا      | أهلاً بمن ولا قرين من خلد        |
| يسلبن لبّ ذوي العقل الرصين كما | يصرعن من كان ذا أيدٍ وذا جلد     |
| يا رب شهوة وقعت أورثت غصصاً    | وأعقبت حسرات آخر الأمد           |
| قد كان في شغل عنهن قاطبة       | بهمّ عيشته لو كان ذا رشد         |
| لكنه عميت عن ذاك مقلته         | حتى هوى مُكرها في هوة الأسد      |

ومن شعر أبي العمران الميرتلي - رحمه الله :-

وقالوا : تزوج فنعم الفتاة  
عرضنا عليك تنل خيرها  
ولو أستطيع لطلقت نفسي  
فكيف أضيف لها غيرها  
أأشقى بها دون ما ضرة  
وآمن من ضرة ضيرها  
وما تقنع العرس مني بشيء  
سوى أن تصيرني غيرها  
فنفسي أولى بنفسي، ودع  
سواها تسرّ وتصل سيرها

## بنات الأربعين من الرزايا

أنشدني أبو عبد الله اليزيدي، قال: أنشدني عمي محمد بن عبد الله

بن طاهر:

مطيات السرور بنات عشر  
إلى عشرين ثم قف المطايا  
فإن جاوزتمن فسر قليلا  
بنات الأربعين من الرزايا  
مقاساة النساء مع الليالي  
إذا أولدتم من البلييا



## طرائف عن الحب



## حيلت عاشق

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفه مع «عُتْبة»  
جارية المهدي، تدل على كمال ظرفه؛ ومن ذلك ما ذكره  
الخطيب في «تاريخ بغداد» قال: إن أبا العتاهية لما ألح في  
أمر «عتبة» لأول دخوله بغداد، ولم ينل منها شيئاً، وجدها  
يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب  
راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل  
كبير في السوق، فدل على شيخ صائغ، فجاء إليه فقال:

إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة .. يعني «عُتْبة».

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق، وجاء إلى «عتبة»  
فقال لها: إن الله قد ساق إليك أجراً، هذا هو راهب قد رغب في الإسلام  
على يدك. فقالت: هاتوه. فدنا أبو العتاهية منها، وهو في زي الراهب،  
فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم قطع الزنار،  
ومال على يدها فقبلها.

فلما فعل ذلك، رفعت البرنس عن وجهه، فعرفته وقالت: نُحوه،  
لعله الله! فقالوا لها: لا تلغيه فقد أسلم. فقالت: إنما فعلت ذلك لقره.

فعرضوا عليه كسوة، فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردت أن أشرف بولائها، فالحمد لله الذي من علي بحضوركم.

وجلس أبو العتاهية، فجعلوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر، وهو في ذاك ينظر إليها، لا تقدر له على حيلة!

وحدّث المبرد: أن «ريطة» بنت أبي العباس السفاح، وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي في شراء رقيق للعتق، وأمرت جاريتها (عُبة) - وكانت لها ثم صحبت «الخيزران» بعدها - أن تحضر ذلك. فإنها جالسة إذ جاء «أبو العتاهية» في زي متنسك فقال لها: جعلني الله فداك، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة، فإن رأيت - أعزك الله - شرائي وعتقي، فعلت مأجورة، فأقبلت على عبد الله فقالت: إني لأرى هيئة جميلة، وضعفاً ظاهراً، ولساناً فصيحاً، ورجلاً بليغاً، فاشتره وأعتقه. فقال: نعم أفعل، ثم قال لها أبو العتاهية: أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك؟ فأذنت له، فقبل يدها وانصرف؛ فضحك عبد الله بن مالك وقال لها: أتدريين من هذا؟ فقالت: لا. قال: هذا أبو العتاهية، وإنما احتال عليك حتى قبّل يدك!

## بين الحب والمال

وكان أبو العتاهية قد قصد بغداد من الكوفة، مع زميلين له، ليستفيد بشعره عند أمرائها، ولم يكن لهم في بغداد من يقصدونه، فترلوا غرفة بالقرب من الجسر، وكانوا يبكرون فيجلسون بالمسجد الذي بباب الجسر في كل غداة، فمرت بهم يوماً امرأة راكبة، معها خدم سودان،

فقالوا: من هذه؟ قالوا: خالصة. فقال أحدهم: قد عشقت خالصة. وعمل فيها شعراً أعانوه عليه، ثم مرت بهم أخرى، راكبة أيضاً، ومعها خدم بيضان. فقالوا: من هذه؟ قالوا: هذه (عتبة)، فقال أبو العتاهية: قد عشقت عتبة، وعمل فيها شعراً.

ولم يزالوا كذلك، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين، وتحدث الناس بعشق أبي العتاهية وزميله لهما، فقال صاحبا الجاريتين: نمتحن العاشقين بمال على أن يدعا التعرض للجاريتين، فإن قبلا المال كانا مستأكلين، وإن لم يقبلناه كانا عاشقين.

فلما كان الغد، مرت (عتبة) فعرضلها صاحبها، فقال له الخدم: اتبعنا، فتبعهم، فمضت به إلى منزل خليط لها يزار، فلما جلست دعت به، فقالت له: يا هذا، إنك شاب، وأرى لك أدباً، وأنا حرمة خليفة، وقد تأنيتك، فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين، ثم لم آمن عليك.

فقال لها أبو العتاهية: فافعلي، بأبي أنت وأمي، فإنك إن سفكت دمي أرحتني، فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب!

فقالت له: أبق على نفسك، وخذ هذه الخمس مائة دينار، واخرج عن هذا البلد، فلما سمع ذكر المال ولى هارباً، فقالت: ردوه، وألحت عليه فيها. فقال لها: جعلت فداك، ما أصنع بعرض زائل من الدنيا وأنا لا أراك؟ ... والله إنك لتبطين يوماً واحداً عن الركوب، فتضيق عليّ الدنيا بما رحبت، فزادت له في الدنانير، وما زالت تلح عليه فلا يزداد إلا رفضاً.

## قليل منك يكفيني

ومن اللف ما قاله أبو العتاهية في (عتبة) قوله:

بالله يا حلوة العينين زوريني  
هذان أمران فاختاري أحبهما  
إن شئت موتا فأنت الدهر مالكة  
يا عتب ما أنت إلا بدعة خلقت  
إني لأعجب من حب يقربني  
لو كان ينصفني مما كلفت به  
يا أهل ودِّي إني قد لطفت بكم  
الحمد لله قد كنا نظنكمو  
أما الكثير فلا أرجوه منك ولو

قل الممات وإلا فاستزيريني  
إليك أو لا فداعي الموت يدعوني  
روحي وإن شئت أن أحيأ فأحييني  
من غير طين وخلق الناس من طين  
مما يباعدي عنه ويقصيني  
إذن رضيت وكان يرضيني  
في الحب جهدي ولكن لا تبالوني  
من أرحم الناس طراً بالمساكين  
أطعمتني في قليل كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى، يقول في إحداها:

ألا يا عتب يا قمر الرصافة  
رزقت مودتي ورزقت عطفِي  
وصرت من الهوى دنفا سقيما  
أظل إذا رأيتك مستكينا

يا ذات الملاحه والنظافة  
ولم أرزق - فديتك - منك رافة  
صريعاً كالصريع من السلافة  
كأنك قد بُعثت علي آفة

ومن قوله فيها أيضاً:

قال لي أحمد ولم يدر ما بي  
فنتفست ثم قلت: نعم حباً  
لو تجسَّين يا عتية قلبي  
قد لعمرى ملّ الطيب ومل

أحب الغداى عتية حقاً؟  
جرى في العروق عرقاً ففرقاً  
لوجدت الفؤاد قرحاً تفقاً  
الأهل مني مما أقاسي وألقى

ليتني مت فاسترحت فيإني أبدا- ما حيتت - منه ملقى

وفيها يقول:

عـب ما للخـيال      خـبـيرني ومـالي؟  
لا أراه.. أتـاني      زائـراً.. مـذ ليـال  
لو... رأني صـديقي      رق لي، أو رثـي لي  
أو.. يـراني عـدوي      لان من سـوء حـالي

### من الحب إلى الزهد

وحدث أبو العباس: أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتبة)، فوعده بتزويجها، وأنه سيسألها في ذلك، فإن أجابت جهزها له، وأعطاه مائلاً عظيماً، ثم إن الرشيد سرح له شغل استمر به، فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه، فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح، فدخل بها على الرشيد وهو يبتسم، وكانت مجتمعة، فقرأ على واحدة منها مكتوباً:

ولقد تنسّم الرياح لحاجتي      فإذا لها من راحتك شميم

فقال الرشيد: أحسن الحبيث. إذن ... عليّ بالثانية، وكان مكتوباً عليها:

أغلقت نفسي من رجائك ما له      عنق يحث إليك بي ورسيم

فقال الرشيد: علي بالثالثة، وكان مكتوباً عليها:

ولربما استأسيت ثم أقول: لا      إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد: قاتله الله، ما أحسن ما قال، ثم دعا به، وقال له: قد  
ضمنت لك يا أبا العتاهية، وفي غد نقضي حاجتك إن شاء الله، وبعث إلى  
(عبدة)، وقال لها: إن لي إليك حاجة، فانتظريني الليلة في منزلك.  
فأكبرت (عبدة) ذلك وأعظمتها، وصارت إليه تستعفيه، فحلف ألا  
يذكر لها حاجته إلا في منزلها.

فلما كان الليل سار إليها، ومعه جماعة من خواص خدمه، فقال لها:  
لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها؟ قالت: أنا أمتك، وأمرك نافذ فيّ  
... فيما خلا أمر أبي العتاهية، فإني حلفت لأبيك - رضي الله عنه - بكل  
يمين يحلف بها بر وفاجر، وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية، كلما انقضت  
عني حجة وجبت عليّ أخرى، لا أقتصر على الكفارة، وكلما أفدت شيئاً  
تصدقته به، إلا ما أصليّ فيه.

وبكت بين يديه، فرق لها ورحمها، وانصرف عنها.  
وغدا عليه أبو العتاهية، فقال له الرشيد: والله ما قصرت في أمرك،  
ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك، وشرح له الخبر.  
قال أبو العتاهية: فلما أخبرني الرشيد بذلك، مكثت ملياً لا أدري أين  
أنا قائم أو قاعد؟ قلت: الآن يئست منها إذ ردّتك، وعلمت أنها لا تجيب  
أحدًا بعدك.

ثم لبس أبو العتاهية الصوف، وتزهد، وقال في ذلك شعراً كثيراً، منه قوله:

قطعت منك حبال الآمال      وحطت عن ظهر المطي رحالي  
ووجدت برد اليأس بين جوانحي      فغنيت عن حل وعن ترحالي

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟ فقال أبو العتاهية: إذن والله أخبرك، إني لما قلت:

الله بيّني وبين مولاتي      أبدت لي الصد والملالات  
منحتها مهجتي وخالصتي      فكان هجرانها.. مكافاتي  
هيّمني حبها، وصيرني      أحوثة في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة، كأن آتيا أتاني فقال: ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى؟! ... فانتبهت مذعوراً، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى من قول الغزل.

## معي بين أضلعي

الحبة هي بذلك الجهود فيما يرضي الحبيب<sup>(١)</sup>. وقيل: هي سكون بلا اضطراب، واضطراب بلا سكون، يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه، ولا يزال يضطرب شوقاً إليه حتى يسكن عنده، وهذا معنى قولهم: هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب، وسكونه عنده، وقيل: هي مصاحبة المحبوب على الدوام، كما قيل:

ومن عجب أني أحين إليهم      وأسأل عنهم من لقيت وهم معي  
وتطلبهم بني وهم في سوادها      ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

## يرى الضّواد الروحين يمتزجان

وقال ابن الرومي:

(١) في روضة الحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩

أعانقها والنفس بعد مشوقة  
وأثم فها كي تزول صبابتي  
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى  
كان فؤادي ليس يشفي غليله  
إليها، وهل بعد العناق تدان؟  
فيشتد ما عندي من الحفقتان  
ليشفيه ما ترشف الشفتان  
سوى أن يرى الروحين يمترجان

## لئن ساءني لقد سرني

وقال عبد الله بن الدمينه:

لو قلت: طأ في النار أعلم أنه  
لقدت رجلي نحوها.. فوطئتها  
لئن ساءني أن نلتني بمساءة  
لقد سرني أي خطرت ببالك  
رضاً لك أن مدن لنا من وصالك  
هُدى منك لي، أو.. ضلة من ضلالك

## العشق عترة ونزاهة

قال الشاعر:

إذا كان حظ المرء ممن يحبه  
حديث كماء المزن بين فصوله  
ولثم فم عذب اللثاب، كأثما  
وما العشق إلا عفة ونزاهة  
وإني لأستحي الحبيب من التي  
تريب، وأدعى للجميل فأجمل  
حراماً فحظي ما يجمل ويجميل  
عتاب به حسن الحديث يفصل  
جناهن شهد فتّ فيه القرنفل  
وأنس قلوب أنسهن التغزل

## الطرف رسول رائد للقلب

قال الأصمعي: رأيت جارية في الطواف كأنها مهابة، فجعلت أنظر  
إليها وأملاً عيني من محاسنها، فقالت لي: يا هذا ما شأنك؟ قلت: وما عليك  
من النظر؟ فأنشأت تقول:

لقلبك يوما أتعبتك المناظر  
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

زكنت متى أرسلت طرفك رائدا  
رأيت الذي لا كله أنت قادر

وقال الفرزدق:

فؤادا ولم يشعر بما قد تزودا  
بغير سلاح مثلها حين أقصدا

تزود منها نظرة لم تدع له  
فلم أر مقتولا ولم أر قاتلا

وقال آخر:

فإني من عيني أتيت ومن قلبي  
فما أبقيا لي من رقاد ولا لبّ

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد  
هما اعتوراني: نظرة ثم فكرة

وقال ابن المعتز:

بيكي عليه رحمة عاذله  
فابكوا قتيلا بعضه قاتله

متيم يرعى النجوم الدجى  
عيني أشاطت بدمي في الهوى

وقال الأرجاني:

وأوردتما قلبي أمر الموارد  
من الظلم سعي اثنين في قتل واحد

تمتعتما يا مقلتيّ بنظرة  
أعيني كفّا عن فؤادي فإنه

وقال آخر:

رأيت جسمي نحىلا  
وقال: كنت الرسولا  
بل كنت أنت السؤولا  
تركتماني قتيلا

عابت لقلبي لما  
فألزم القلب طرفي  
فقال طرفي لقلبي  
فقلت: كفا جميعا

## لذة الحب كلها

قال الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: ليس للقلب والروح الذّ ولا أطيّب، ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله، والإقبال عليه، وعبادته وحده، وقرّة العين به، والأنس بقربه، والشوق إلى لقائه ورؤيته، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يُعَدُّل بأمثال الجبال من لذات الدنيا.

وقال بعض العارفين: "من قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ويكفي في فضل هذه اللذة وشرفها أنها تخرج من القلب ألم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا، حتى إنه ليتألم بأعظم ما يلتذّ بما أهلها، ويفر منه فرارهم من المؤلم، وهذا موضع الحاكم فيه الذوق لا مجرد لسان العلم".

وكان بعض العارفين يقول: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها، فيقال له: وما هو؟ فيقول: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، ومعرفة أسمائه وصفاته.

وقال آخر: والله إنه ليمرُّ بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال، إنهم لفي عيش طيب. وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه، كما قال شاعر الحماسة:

تشكّي الحبون الصباية ليّتي      تحملت ما يلقون من بينهم وحدي  
فكانت لقلبي لذة الحب كلها      فلم يلحقها قلبي محب ولا بعدي

## أحسنَتِ زِيدِي

قال عبد الله بن المبارك: عشق هارون الرشيد جارية من جواريه، فأرادها، فقالت: إن أباك مسني؛ فشغف بها، وقال فيها:

أرى ماءً وبي عطش شديد      ولكن لا سبيل إلى الورود  
أما يكفيك أنك تملكيني      وأن الناس كلهم عبيدي  
وأنت لو جهدت على تلافي      لقلت من الرضا: أحسنت زيدي

## لذة اللقاء شفاء

وذكر العتيبي أن شاباً من ولد عثمان، وشاباً من ولد الحسين خرجا يريدان موضعاً لهما، فترلا تحت سرحة، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها:

خبرينا- خصصت بالغيث يا سر      حُ- بصدق والصدق فيه شفاء

وكتب الآخر:

هل يموت المحب من ألم الحـ      بـ ويشفي من الحبيب اللقاء

ثم مضيا، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك:

إن جهلا سؤالك السرح عما      ليس يوماً عليك فيه خفاء  
ليس للعاشق المحب من الحب      سوى لذة اللقاء شفاء

## دعاء في الطواف

وقال أبو المنجاب: رأيت في الطواف فتى، نحيف الجسم، بيِّن

الضعف، يلوذ ويتعوذ ويقول:

وددت بأن الحب يجمع كله فيقذف في قلبي، وينفلق الصدر  
 فلا يتقصني ما في فؤادي من الهوى ومن فرحي بالحب أو ينقصي العمر  
 فقلت: يا فتى، ما لهذه البنية حرمة تمنعك عن هذا الكلام؟ فقال: بلى والله،  
 ولكن الحب ملاً قلبي بفرح التذكر، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى  
 من لا يشذ عن معرفة ما بي، فتمنيت المنى، والله ما يسرني بما في قلبي منه ما  
 فيه أمير المؤمنين من الملك، وإني أدعو الله أن يثبتني في قلبي عمري، ويجعله  
 ضجيعي في قلبي، دريت به أو لم أدر، هذا دعائي، أو أنصرف من حجتي، ثم  
 بكى. فقلت: ما يبكيك؟ قال: خوف ألا يستجاب دعائي، وله قصدت،  
 وفيه رغبت!

## محبة الأعداء

من الكلمات المأثورة عن السيد المسيح عليه السلام قوله: «أحبوا  
 أعداءكم»، وقال دعبل الخزاعي:

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم  
 أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليملني اللوم

وقال آخر:

من كان يشكر للصديق فإنني أحبوا بصالح شكري الأعداء  
 هم صيروا طلب المعالي ديني حتى وطئت بنعلي الجوزاء  
 ولربما انتفع الفتى بعدوه والسم - أحياناً - يكون شفاء

وقال آخر:

عداي لهم فضل ومنة  
هو بجثوا عن زلتي فاجتنبتها  
فلا قطع الرحمن عني الأعاديا  
وهم نافسوني فاكسبت المعاليا

وقال أحد الشعراء:

سررت بهجرك لما علمت  
ولولا سرورك ما سرني  
أن لقبك فيه سرورا  
ولا كنت يوما عليه صبورا



## المصادر والمراجع

- ١) العقد الفريد.
- ٢) خلاصة الأثر.
- ٣) أمالي أبي القاسم الزجاجي.
- ٤) الإسعاف شرح شواهد الكشاف.
- ٥) المضاف والمنسوب.
- ٦) الحيوان للجاحظ.
- ٧) نفع الطيب.
- ٨) وفيات الأعيان لابن خلكان.
- ٩) خزانة الأدب للبغدادي.
- ١٠) لوعة الشاكي ودمعة الباكي للصفدي.
- ١١) طوق الحمامة في الألفة والألاف.
- ١٢) سبحة المرجان.
- ١٣) شرح شواهد التحفة الوردية.
- ١٤) عيون التواريخ.
- ١٥) خاص الخاص للثعالبي.
- ١٦) مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور.
- ١٧) أمالي أبي علي القالي.
- ١٨) التبريزي على الحماسة.
- ١٩) سحر العيون.

- ٢٠) فوات الوفيات.
- ٢١) اليتيمة للشعالبي.
- ٢٢) بغية الوعاة.
- ٢٣) كتاب الترقيص ضمن كتاب اتفاق المباني وافتراق المعاني.
- ٢٤) إرشاد الأديب.
- ٢٥) الأغاني.
- ٢٦) العزيز المحلى.
- ٢٧) علم الدين، لعللي باشا مبارك.
- ٢٨) الروض الأنف.
- ٢٩) الكامل لابن الأثير.
- ٣٠) بدائع الفوائد.
- ٣١) روضة الأعيان للتراجم.
- ٣٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

# المحتويات

|     |                             |
|-----|-----------------------------|
| 5   | ..... دعاء مأثور            |
| 7   | ..... صفات الحب وأغراضه     |
| 27  | ..... أنواع الحب            |
| 35  | ..... حب الأزواج            |
| 59  | ..... الشعراء العشاق        |
| 75  | ..... الحب والجمال          |
| 93  | ..... الغزل ووصف النساء     |
| 113 | ..... العيون                |
| 127 | ..... تعدد الزوجات والأزواج |
| 177 | ..... عداوة النساء          |
| 185 | ..... طرائف عن الحب         |
| 201 | ..... المصادر والمراجع      |